دور "التعليم المستمر" في مواجهة تحدّيات "العولمة الاجتماعية" من منظور تربوي إسلامي

*عدنان مصطفى خطاطبة**

ملخص

هدفت الدراسة إلى بيان دور التعليم المستمر في مواجهة تحدّيات العولمة الاجتماعية من منظور تربوي إسلامي. وذلك من خلال مباحثها الثلاثة وهي: المبحث الأول: مدخل مفاهيمي: مفهوم التعليم المستمر ومفهوم العولمة الاجتماعية، والمبحث الثاني في تأسِيسات التربية الإسلامية لمبدأ التعليم المستمر، والمبحث الثالث في أهم تحدّيات العولمة الاجتماعية ودور التعليم المستمر في مواجهتها من منظور تربوي إسلامي. وقد توصلت الدراسة إلى بيان قدرة التعليم المستمر على مواجهة تحدّيات العولمة الاجتماعية؛ نظراً لما يتمتع به من خصائص وطبيعة وآليات منفتحة ومتجددة ومرنه. وأن التعليم المستمر كان له دوره الفاعل في نهضة الحضارة الإسلامية وازدهارها، وأنه يشكل قوة فاعلة في المجتمع ومواجهة تحدّياته وتطوره حينما يكون متصلاً بقضايا عصره ومُؤطّراً بالمنظور التربوي الإسلامي. وأكدت الدراسة أن للتعليم المستمر دوره الأساسي في مواجهة تحدّيات العولمة الاجتماعية وبخاصة تلك المتصلة بمنظومة قيم المجتمع وثوابت الأمة وسلوك الأفراد وتوجهاتهم وميولهم، مثل تلك التحدّيات التي تهدد قيمة الانتماء والهويّة والتماسك الاجتماعي والتوجهات الروحية والعاطفية. وقد أوصت الدراسة الدول والمجتمعات العربية والإسلامية بمؤسساتها كافة أن تجعل من التعليم المستمر المنبثق من معطيات الكتاب والسنة نهجاً قويماً وثابتاً للمحافظة على أمن المجتمع الفكري والثقافي وحفظ مسلكه وقيمة وثوابته ودفعه باتجاه النمو والتطور.

الكلمات الدالة: التعليم المستمر، العولمة الاجتماعية، التربية الإسلامية.

المقدمـة

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وأفضل الصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

إنّ العلم قرين النهضة، إذْ لا يمكن لأي مجتمع من المجتمعات الإنسانية النهوض والتطور ما لم يكن العلم المحرك الأساس لذلك التقدم. وكما أن العلم قرين النهضة في المجتمع، فإن النهضة كذلك قرين التحدّي. فلا بد من تحدّيات جمّة تواجه مراحل التطور والازدهار التي يمر بها المجتمع. وهنا يُثبت المجتمع بمؤسساته وإمكاناته قدراته على مواجهة تلك التحدّيات وتجاوزها وإحسان التعامل مع أبعادها وآثارها. وهنا أيضا يظهر دور المؤسسات التربوية والتعليمية في مدافعة تلك التحدّيات التي تواجه المجتمع.

وبما أننا نعيش في مجتمعات عربية وإسلامية تسعى للنهوض والتقدم، وفي ظل عصر العولمة وثورات الاتصالات والتكنولوجيا والمعرفة، فإننا أمام موجات متتالية من التحدّيات الداخلية والخارجية التي لا بد من مواجهتها والتعامل معها نظراً لفضاءاتها المفتوحة على جغرافية العالم كله. وتبرز هنا بالتحدّيد قيمة التربية والتعليم بكل مؤسساته لتقديم المساهمة الفعلية والخدمة العلمية لمجتمعاتها للحدّ من مخاطر تلك لتحدّيات المنبعثة من موجات العولمة ونوافير التكنولوجيا والمعرفة، وبالتأكيد تكون هذه الإسهامة لمؤسسات التعليم جنباً إلى جنب مع باقي مؤسسات الدولة والمجتمع.

وبما أننا كذلك في عصر العولمة والتجدد المعرفي والتطور التكنولوجي، فلا بّد لفكرة التعليم المستمر أن تأخذ مكانها الصحيح وموقعها المناسب في مواجهة تحدّيات العولمة والتكنولوجيا الحديثة، وبخاصة تلك التحدّيات التي تؤثر في بنية المجتمع وقيمه وسلوكه وثقافته. وذلك لأن التعليم المستمر يمتلك من الإمكانات والخصائص والطبيعة ما يجعله مناسباً للتعامل مع مثل هذه التحدّيات، فهو مفتوح زماناً ومكاناً، ومتجدد في وسائله وأساليبه، ومستوعب لكل فئات المجتمع وغير ذلك من الميزات التي تجعل منه أداة مجتمعية ومعرفية قوية في مواجهة التحدّيات التي تُفرض على المجتمع نتيجة

* قسم الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن. تاريخ استلام البحث ٢٠١٢/١/٩، وتاريخ قبوله ٢٠١٣/٤/٢.

© ٢٠١٣ عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

التطورات العالمية المعرفية والتكنولوجية المذهلة. ومن هنا جاءت هذه الدراسة في محاولة منها لتوظيف فكرة التعليم المستمر في مواجهة تحدّيات العولمة الاجتماعية في إطار تربوي إسلامي.

أسئلة الدراسة: تتكون الدراسة من الأسئلة الآتية:

- ما مفهوم التعليم المستمر؟ وما مفهوم العولمة الاجتماعية؟
- كيف تؤسس التربية الإسلامية لمبدأ التعليم المستمر؟
- ما أبرز تحدّيات العولمة الاجتماعية؟ ما دور التعليم المستمر في مواجهتها من منظور تربوي إسلامي؟

وستتم الإجابة عن هذه الأسئلة ومناقشتها من خلال مباحث الدراسة الثلاثة وفروعها.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى بيان مفهوم التعليم المستمر والعولمة الاجتماعية، وإيضاح أوجه التأصيل الإسلامي لمبدأ التعليم المستمر في التربية الإسلامية، وتصنيف أبرز التحدّيات الاجتماعية التي تفرضها العولمة الاجتماعية، وبيان دور التعليم المستمر في مواجهتها والتعاطي معها من منظور تربوي إسلامي.

أهمية الدراسة: تظهر أهمية هذه الدراسة من كونها تنبّه إلى أهمية فكرة التعليم المستمر في مساعدة المجتمع لتجاوز التحدّيات المعاصرة التي يتعرض لها من فعل التطورات المعرفية والتكنولوجية والاقتصادية الهائلة التي تعصف بالعالم كله. كما أن هذه الدراسة تظهر الأصالة والمعاصرة في مبدأ التعليم المستمر وأثره في الممانعة الحضارية للأمة المسلمة.

منهج الدراسة: يستخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي والتحليلي. حيث يتم رصد بعض المظاهر ووصف بعض القضايا ذات الصلة بموضوع الدراسة ومن ثم تحليل أبعادها وأدوارها وآثارها.

حدود الدراسة: تركز الدراسة على بيان دور التعليم المستمر من منظور تربوي إسلامي في مواجهة أبرز ثلاثة تحدّيات تفرضها العولمة الاجتماعية والمتمثلة في: تغيير اتجاه الانتماء، وإضعاف التواصل والتماسك الاجتماعي، وإشاعة النزعة المادية على حساب الجذوة الروحية.

خطة الدراسة: تكونت خطة الدراسة من مقدمة وثلاثة مباحث، وخاتمة. وتفصيل مباحثها كالآتي:

المبحث الأول: مفهوم "التعليم المستمر" و"العولمة الاجتماعية"

أولاً: مفهوم "التعليم المستمر" وخصائصه.

ثانياً: مفهوم "العولمة الاجتماعية".

المبحث الثاني: تأسيسات التربية الإسلامية لمبدأ التعليم المستمر

أولاً: تقريرات النص الشرعي لمبدأ التعليم المستمر.

ثانياً: تطبيقات مبدأ التعليم المستمر في التراث التربوي والحضارة الإسلامية.

المبحث الثالث: أهم "تحدّيات العولمة الاجتماعية" ودور التعليم المستمر في مواجهتها من منظور تربوي إسلامي

أولاً: ضرورة التربية في مواجهة التحدّيات المجتمعية.

ثانياً: أبرز تحدّيات العولمة الاجتماعية وتوظيف التعليم المستمر في مواجهتها.

- **التحدّي الأول:** تغيير اتجاه الانتماء المجتمعي والحضاري.
- **التحدّي الثاني:** توهين التواصل الاجتماعي وتفتيت قيم السلوك المجتمعي.
- **التحدّي الثالث:** إشاعة النزعة المادية وإطفاء الجذوة الروحية.

ثالثاً: إمكانات التعليم المستمر والمنحنى التكاملي في التعامل مع تحدّيات العولمة الاجتماعية

والله الكريم الحميد أسأل أن يتقبل هذا الجهد وأن ينفع به وأن يجعله في ميزان أعمالنا يوم نلقاه سبحانه.

اللهم اجعل أعمالنا صالحة واجعلها لوجهك خالصة.

والحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات.

المبحث الأول: مفهوم "التعليم المستمر" و"العولمة الاجتماعية"

يشكل هذا المبحث تؤطئة علمية أساسية يتم فيها توضيح المفاهيم الرئيسة المكونة لمفاصل الدراسة، بما يحدد وجهتها، ويمدّ لها الأرضيّة المعرفيّة التي تساعد في فهم ما سيأتي، وتعمل على تحقيق البناء المتصل أجزاؤه، بحيث تعتمد الأفكار التي ستناقش لاحقاً على هذه المقدمات المفاهيمية. وقد تحَدّدَ هذا المدخل المفاهيمي في بيان مفهوم التعليم المستمر، ومفهوم العولمة الاجتماعية، وبصورة تتناسب مع أهداف الدراسة ومستواها.

أولاً: مفهوم "التعليم المستمر"

أ- تعريف التعليم المستمر

للباحثين التربويين تعريفات عدّة للتعليم المستمر، وبحكم أنّ هذا المصطلح حديث، وأنّ لمفهوم التعليم المستمر أثره في

مناقشة أفكار الدراسة في المباحث اللاحقة، فإنه من المفيد إيراد عدد من هذه التعريفات في سبيل استخلاص صورة أكمل عن هذا المفهوم. فمن ذلك: أن التعليم المستمر اصطلاحاً يشير إلى "إتاحة فرص تعليمية مستمرة طوال حياة الفرد، وذلك بقصد تنمية جميع أفراد المجتمع، وتطويرهم، لكي يتمكنوا من تحقيق التكيف مع المتطلبات الحضارية، وحتى يكون بمقدورهم التفاعل مع برامج التنمية"(١). وهناك من عرّفه بأنه "مبدأ يشمل الفرص التعليمية الرسمية وغير الرسمية المتاحة خلال حياة الفرد، بحيث تمكنه من تحقيق أرقى احتمالات النمو الفردي والاجتماعي"(٢)، وهو كذلك "جميع الفرص التربوية المتاحة للإنسان وفق نظام متكامل منسق، يشبع طموحات الفرد الثقافية والتربوية، وتلائم خصائصه النفسية والعضوية"(٣).

وعند بعض الباحثين يقصد بالتعليم المستمر، "ذلك النوع من التعليم الذي يهدف إلى مساعدة الفرد في مواجهة المتغيرات الحضارية- الاجتماعية والتقنية- سواء في مجال العمل أو المجتمع، تحقيقاً للتكامل والترابط بين الإنسان والبيئة التي يعيش فيها، وصولاً إلى النهوض بها عن طريق حشد الطاقات البشرية وإنمائها، وحشد طاقات البيئة والاستفادة منها، وذلك طبقاً لخطط وإجراءات تنظيمية، تقوم بدور الوسيط بين هذه الطاقات كمدخلات، وبين المخرجات المستهدفة كنتائج متوخاة"(٤). ويعرفه باحث تربوي آخر بقوله: "فالتعليم المستمر هو التعليم الذي يهدف إلى مساعدة الأفراد في مواجهة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتكنولوجية، وفي جميع مناشط الحياة الاجتماعية، تحقيقاً للتكامل والترابط بين الفرد والبيئة، وتحقيقاً للتكيف مع الحياة المعاصرة ومستجداتها"(٥). ويصف باحث تربوي التعليم المستمر بأنه "يتضمن كل المناشط التعليمية والتربوية والتدريبية التي تقدم خارج نطاق النظام المدرسي المعروف، مثل: وسائل الاتصال الجماهيري والنوادي والجمعيات ومراكز الشباب، والمؤسسات الدينية، ومواقع العمل ومعاهد التعليم العالي، ومراكز التدريب المهني والحرفي، والمدارس الليلية والتكميلية، والمسارح والمتاحف والإذاعة وبرامج التلفزيون"(٦).

ومن خلال التأمل في مجموعة هذه التعريفات للتعليم المستمر لعدد من الباحثين التربويين، يلحظ بأن هناك اتفاقاً على أن التعليم المستمر هو أكبر من مجرد النظر إليه على أنه تعليم مساعد أو إضافي أو ثانوي عابر وسطحي يتلقاه الفرد في أوقات فراغه، بل هو "مبدأ تربوي"، "وعملية تعليمية هادفة". كما يتفق الباحثون على المدّ الزماني والمكاني والفئوي لتطبيقات مبدأ التعليم المستمر، فلا زمان يحده بالنسبة للفرد سوى عجزه أو موته ، ولا مكان يحصره، ولا فئة اجتماعية معينة يتجه إليها دون غيرها. فهو متاح للجميع وعلى طول الزمان وبمختلف الأمكنة. ويلحظ في التعريفات كذلك أنها جعلت للتعليم المستمر أغراضاً يحققها على مستوى الفرد وعلى مستوى المجتمع. وفتحت أمامه كل الوسائل الممكنة ليصل إلى ذلك. كما يلاحظ على التعريفات أنها أعطت للتعليم المستمر صفة الدينامية والفاعلية، فهو عملية مواكبة للتغيرات الاجتماعية والحضارية ومنبثق منها، ويسهم في تحسينها وتوجيهها.

ومما تقدّم، يرى الباحث أن التعليم المستمر في أصله مبدأ تربوي تنموي، يتمّ تفعليه عبر مختلف الوسائط الإعلامية والمناشط التعليمية، لتطوير معارف وقدرات ومهارات جميع أفراد المجتمع، لتمكينهم من النجاح في التعامل مع مستجدات الحياة وتحدّياتها، والإفادة منها في سبيل تحقيق النمو والتقدّم. ومن أبعاد هذا التعريف، النظر إلى مقاصد التعليم المستمر على أنها أكبر من حصرها في المحافظة على الموروث فقط، أو التوقف عند الموجود، أو مجرّد الإطلاع على المولود، بل هي عملية نجاح من أجل التقدّم للأمام.

ب- خصائص التعليم المستمر

وللتعليم المستمر خصائصه وطبيعته التي تميّزه وتوضّح مفهومه وتشرح حقيقته، وتساعد في تحديد دوره. فمن خصائص التعليم المستمر: أنه يعطي الفرص المتكافئة لكل فرد في المجتمع ليتعلم، ومرونته التي تمكنه من ارتياد مختلف أبواب المعرفة، وأماكن التدريب والخدمات التعليمية، وتكامل مؤسساته وتنوع مصادره ووسائله التي تتبع انسياب فوائده وغزارتها وتحقيق مراد الملتحقين به(٧). ويمتاز التعليم المستمر كذلك بأنه عملية مستمّرة مدى الحياة، ولا تتوقف عند التعليم المدرسي أو الجامعي، وأنه أكثر انسجاماً مع طبيعة الحياة والنفس الإنسانية(٨). وتتصف برامج التعليم المستمر بأنها انعكاسات لحاجات ومشكلات المجتمع، وأنها اختيارية في جوهرها، يختار الدارس ما يناسبه منها، كما أن أنشطته التعليمية متصلة بما يمارسه المتعلمون من أعمال في مجالات الحياة، وتركز على استخدام الوسائل الحديثة، وتهتم بالتعليم الذاتي وتنمية مبدأ الاعتماد على النفس، وفيه بعد أفقي يحقق التكامل في خبرات المتعلمين المدرسية منها وغير المدرسية(٩).

وبما أن التعليم المستمر يمتاز بكونه عملية مستمرة ومفتوحة للجميع ومستديمة لكل فرد، ومتعددة الأساليب والوسائل والمناشط، فإنه يمكن لكل فرد أو مؤسسة أو دولة أن يختار ما يراه مناسباً من بين ذلك(١٠). فهناك مؤسسات تسهم في التعليم المستمر كالمراكز التعليمية، ومراكز التدريب، وهناك

وسائل الاتصال المتنوعة، وأساليب التعليم المتعددة، القديم منها والمتطوّر[١١]. وكل ذلك تُتِيحه طبيعة التعليم المستمر لكل من يسلك سبيله.

وتسمح طبيعة التعليم المستمر وخصائصه لجميع أفراد المجتمع من مختلف الأعمار والأعمال للإفادة من برامجه، فهو يغطي فئة الأطفال والتلاميذ، وفئة المراهقين الذين تسربّوا من المدرسة، وفئة العمال المهرة ذوي التعليم البسيط، وفئات الفنيين والتقنيين والمختصين، والمسنيّن[١٢]. وغيرها من فئات المجتمع وشرائحه التي تكوّنه.

إن طبيعة التعليم المستمر هذه، هي التي تكسبه قوّة اجتماعية، وتعطيه مساحة واسعة يمكنه أن يتمدد خلالها في قطاع واسع من أفراد المجتمع وتكتلاته، ويحدث تأثيره الملموس: مناعةً ونمواً وتقدماً إذا ما أحسن توظيفه واستثماره.

ومن هنا، كانت الحاجة للتعليم المستمر، حاجة إنسانية حضارية، لازمت الإنسان منذ وجوده. فالتعليم المستمر وإن كان جديداً من حيث المصطلح والآليات الحديثة المستخدمة في تنفيذه، إلا إنه كفكرة ومضمون قديم قدم الحضارات الإنسانية. لكن العصر الحديث كان الأكثر اهتماماً وطلباً للتعليم المستمر، بسبب الثورات التكنولوجية والفضائية والمعرفية وحتى الإنسانية الكبيرة التي أحدثت تغييرات سريعة وقوية في البُنى الاجتماعية والحضارية، والتي أثبتت أنه ليس بمقدور التعليم المدرسي وحده مواجهة كلّ هذه التغييرات والتحدّيات والتطوّرات، وأنه لابد من التعليم المستمر. وهذا ما أوصى به تقرير "إيدجار فور" منذ السبعينيات من القرن الماضي– العشرين– الذي جاء فيه تحت عنوان "الابتداع والبحث عن حلول بديلة": "إذا أخذنا بعين الاعتبار في الظروف الراهنة الإمكانيات الهائلة المتوفرة، والخبرة المكتسبة إلى حدّ اليوم، فإنّ القيام بإصلاحات جريئة لا تكفي على وجه العموم، حتى ولو كانت تلك الإصلاحات مفيدة. ولهذا فلابدّ من الابتداع، ولابدّ من البحث عن حلول بديلة لكي تقوم مقام المفاهيم والبنيات التربوية البائدة. يجب أن تتاح لكل فرد فرصة التعليم طوال حياته. إن فكرة التربية المستمرة هي الدعامة الأساسية في صرح التربية. إن فكرة التربية المستمرة تشمل كل جوانب الظاهرة التربوية. بل هي المبدأ الذي يقوم عليه التنظيم التربوي الشامل"[١٣]. فالحاجة للتعليم المستمر تجاوزت مستوى التثقيف الذاتي والاستزادة المعرفية إلى مستوى إنقاذ المجتمع وبناء صروحه الحياتية المختلفة، لذا نُظِر إليه على كونه حاجة ملحة ومطلباً مهماً، لابدّ من إعطائه فرصته الحقيقية، وأن يلقى الدعم الكامل ليحقق عملية تنموية ملموسة.

ثانياً: مفهوم "العولمة الاجتماعية"

حتى يتم تصور حجم التحدّيات والآثار التي تتركها العولمة الاجتماعية– فيما سيأتي من بحوث– لابد من هذه التوطئة المفاهيمية للمراد بهذا المفهوم "العولمة الاجتماعية". ومنهجياً، يلزم التقديم بمفهوم العولمة عموماً، لأنه الحلقة الأساس والأوسع التي ينتمي إليها مصطلح "العولمة الاجتماعية".

وقد تصاعد الحديث عن العولمة باعتبارها ظاهرة عالمية في العقد الأخير من القرن العشرين، وبخاصة بعد حرب الخليج الثانية التي أعقبت انهيار الاتحاد السوفياتي، ونهاية الحرب الباردة، وسقوط سور برلين، وما زالت ظاهرة العولمة تحتل موقع المحور في السياسات العالمية الجارية، وتؤثر في العالم الإسلامي والعربي تأثيراً قوياً[١٤]. والواقع "أن نذر العولمة بدأت منذ عقد الستينات من القرن العشرين حين بدأ الحديث عن الأسواق العالمية، وتفوق سياساتها الاقتصادية على الممارسات السياسية. وعندما انهار الاتحاد السوفياتي أخذت هذه الشركات تمارس طغياناً في مجالات السياسة والاقتصاد والتربية والثقافة وسائر ميادين الحياة، وتسخرها جميعها لأهدافها في الإنتاج والاستهلاك"[١٥]. وأخذ مفكرو العولمة يمجدّون مظاهرها وأنظمتها ويزعمون أنه ليس بالإمكان إبداع أكثر من ذلك، وأن التاريخ وصل إلى نهايته، وما على العالم إلا أن يتمثّل قيم العولمة الغربية[١٦].

و"يتوافق كثير من الدارسين على أن العولمة كما هي معروفة حالياً ذات أصول اقتصادية تتعلق بالأسواق وامتداداتها وصولاً إلى المزيد من توسع الأعمال والأرباح. ابتدأت في منحاها الراهن بالشركات متعددة الجنسيات التي تنحو إلى التوسع باستمرار حتى وصلت إلى ما هي عليه من قوة اقتصادية مالية هائلة ومهيمنة. إلا إن الاقتصاد ليس هو البعد الوحيد رغم كونه الأساس، إذ تكمّله وتدعمه تكنولوجيا المعلومات والإعلام والاتصالات من ناحية، وبروز عملية ثقافية كونية هي ثقافة الصورة من ناحية أخرى، ويضاف إليها الأبعاد السياسية والبيئية"[١٧]. ومصطلح العولمة وإن كان عرف حديثاً إلا أن جوهر أفكار العولمة لها تاريخها في الحضارة الغربية، كما أن هذا المصطلح وإن اشتهر بلباس الاقتصاد إلا أنه أرْدِيته مكونه من طبقات متعددة.

ولفظ العولمة هو تعريب لكلمة (Globalization) في اللغة الانجليزية، التي تعني: كوكبة، أو عولمة. ولم ترد في معاجم اللغة العربية، ولكن تحليل معناها لغوياً يفيد أنها نسبة إلى العالم أو الكون أو الكوكب الأرضي، فهي تعني لغوياً: تحويل العالم إلى شكل واحد، وتوسيع دائرة الشيء ليشمل العالم[١٨]. فالعولمة بمفهومها المطلق تدل على "تعميم شيء ما على

البشرية على مستوى العالم، فيصبح هذا الشيء بعد تعميمه عالمياً"[١٩]. فهو "تعميم المحلي أو الوطني ليصبح حالة عالمية"[٢٠].

وقد تعددت الآراء في تعريف العولمة اصطلاحاً، "فهي عند أنصارها تعني: البحث في أقطار العالم كله عن أرخص الأمكنة إنتاجاً وأكثرها بياعاً، وأوفرها ربحاً، وذلك باستعمال التكنولوجيا الجديدة في الإنتاج والتجارة والاتصال والتعليم والإدارة، وتأهيل الإنسان وتدريبه على التكيف مع هذا كله"[٢١]. والعولمة عند نقادها والمناوئين لها تعني: "تحول عالمي تاريخي في القوى الاجتماعية والاقتصادية من حالة الملكية المطلقة في المجالات الاقتصادية ورؤوس الأموال وتنمية المعلومات، والدول والحكومات، والعمل والتربية والتعليم، والثقافات والفنون، والفكر والمعتقدات، والقيم والاتجاهات، والأخلاق والتقاليد والعادات، والعلاقات الأسرية والاجتماعية، وسائر مجالات الحياة، ثمّ تشكيل ذلك كله طبقاً لمصالح الشركات العالمية الضخمة التي برزت مفرطة القوة بعد انتهاء الحرب الباردة"[٢٢].

ويرى أحد الباحثين في مجال العولمة، "أنّ هناك اتفاقاً كبيراً بين العلماء والمفكرين والباحثين العرب– على الأقل– على أن العولمة: ظاهرة كونية جديدة، أخذت تفرض نفسها على دول العالم، بوصفها عملية ختامية تقرر حقيقة دمج بلدان العالم الثالث– وفي مقدمتها البلاد العربية الإسلامية– بالنظام الرأسمالي العالمي الجديد، باعتباره منظومة شاملة تتجاوز دائرة الاقتصاد إلى مجالات السياسة، والثقافة والتربية والفكر، وأنماط السلوك الجديدة"[٢٣]. فالعولمة بالنسبة لعالمنا العربي والإسلامي، تعني: تعميم أنماط الحضارة الغربية؛ في المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والإدارية في البلاد العربية والإسلامية، متخذّة من التربية مدخلاً أو استراتيجية لعولمة هذه المجالات، كون التربية أداة الثقافة لإعادة إنتاجها، والسيطرة على الإدراك الاجتماعي وتشكيل الشخصية المنتمية لمجتمع عالمي[٢٤].

وأراد الباحث من هذا البيان لمفهوم العولمة أمرين، الأول: الإشارة إلى حجم التحدّيات الكبيرة التي تفرضها العولمة على المجتمعات المسلمة، ودور التربية عموماً والتعليم المستمر خصوصاً في التعامل معها. والثاني: التأكيد على أن للعولمة مجالاتها وأشكالها المتعددة والقوية كالعولمة الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية وغيرها[٢٥]. أي أن العولمة الاجتماعية شكل محوري في تركيبة مصطلح العولمة ومفهومها. وفيما يأتي تعريف لها.

يرى بعض الباحثين، أن العولمة الاجتماعية هي أحد أنواع العولمة وأنها "تتمّ من خلال فرض النمط الاجتماعي الغربي في مجال الأسرة والعلاقات الفردية وأنماط الاستهلاك"[٢٦]. وتعرف العولمة الاجتماعية بأنها "بروز المنظمات والمؤسسات الدولية غير الحكومية، في مجالات حقوق الإنسان والبيئة والإرهاب، والمخدرات والجريمة، والقضايا الاجتماعية والإنسانية"[٢٧]. ويعرف باحث آخر العولمة الاجتماعية، بقوله: "ونعني بالعولمة الاجتماعية: تعميم البُنى الاجتماعية، وأنماط السلوك، والعلاقات العربية عموماً والأمريكية خصوصاً، على جميع بلدان العالم، ومنها البلاد العربية، على أساس أنّ عولمة المجال الاجتماعي نظام فرعي لابد منه لإكمال منظومة العولمة والعمل ضمنها، لدفع عولمة المجالات الأخرى الاقتصادية والثقافية والسياسية في عمليات متساندة ومتبادلة لعمليات التفاعل"[٢٨]. فنتيجة لعولمة المظاهر الاقتصادية والسياسية والثقافية نشأت العولمة الاجتماعية في البلاد العربية وبلدان العالم الثالث بالضرورة، إذ استدعى عولمة المجالات السابقة تفكيك البنى التقليدية، واختراق منظومة القيم، وأنماط العلاقات الاجتماعية والعادات في المجتمعات الإسلامية[٢٩]. وعليه، فالعولمة الاجتماعية تمسّ صميم التركيبة الاجتماعية سواء في بُناها المعرفية أم السلوكية، وسواء المتجددة منها أم التراثية الأصلية.

ومن هنا كان الاعتناء بالعولمة الاجتماعية: وعياً ومواجهة ومعالجة، حاجة ملحة. ولا شك أن للعملية التربوية والتعليمية المستمرة دورها الذي لا يمكن تجاوزه في التعاطي مع العولمة الاجتماعية وما تفرضه من تحدّيات. وهذا ما مهدّ له هذا المبحث وأثار أهميته، وما ستقوم به المباحث اللاحقة.

المبحث الثاني: تأسيسات التربية الإسلامية لمبدأ التعليم المستمر

يُعنى هذا المبحث بوضع الإطار الإسلامي العام للمنظور التربوي الإسلامي لمبدأ التعليم المستمر، بحيث تظهر عملية التأسيس الشرعي والتقعيد العلمي لهذا المبدأ بما ينسجم مع عنوان الدراسة ويخدم غرضها في تحدّيد دور التعليم المستمر المؤطرّ بالمنظور التربوي الإسلامي في مواجهة تحدّيات العولمة الاجتماعية في المباحث اللاحقة.

وقد اجتهد الباحث في تحدّيد جوانب تأسيسات التربية الإسلامية هذه لمبدأ التعليم المستمر ولفكرته، من خلال مسارين اثنين، سيتم عرضهما بما يتلاءم مع طبيعة هذه الدراسة ويخدم أغراضنا ضمن المساحة المتاحة لذلك.

أولاً: تقريرات النّص الشرعي لمبدأ التعليم المستمر:

يزخر كتاب الله العزيز بالآيات الكريمات التي جاءت في باب العلم وموضوعاته ومتعلقاته، وهي من الوفرة والوضوح واللمعان بمكان، وليس ذلك إلا لأن القرآن الكريم كتاب ذكر للعالمين، ومنهج حياة للبشرية كافة، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بالعلم والمعرفة.

ومن النصوص القرآنية التي تضمنت إشارات واضحة لمبدأ التعليم المستمر، قوله تعالى: (وقُلْ ربِّ زِدْني عِلْما) (طه، ١١٤). قال الطبري في معنى هذه الآية: (وقل يا محمد: ربّ زدني علماً إلى ما علمتني"، ثم أمره بمسألته من فوائد العلم ما لا يعلم"[٣٠]. وقال أبو السعود: أي: سل ربك زيادة العلم[٣١]. وقال الزحيلي: "أي: اطلب واسأل ربك زيادة العلم"[٣٢]. فهذه الآية الكريمة تضمنت إشارة واضحة إلى مشروعية الازدياد من العلم، والاستمرار في طلبه. وأن المتعلم مهما بلغ من درجة العلم، فعليه أن يسعى دائماً إلى المزيد. فلا توقف في نسبه تحصيل العلوم والمعارف، ولا حدّ لانقطاعها، طالما أن المتعلم قادر على المضي قدما في نيل المزيد من المعرفة. وقد جاء في الحديث الشريف طلب الازدياد من العلوم، تطبيقاً لما ورد في الآية وتأكيداً لها، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وزدني علما" [٣٣]. وهذا تعليم من النبي صلى الله عليه وسلم لأمته عامّة، وللمتعلمين خاصة أن يطلبوا دائماً المزيد من العلم، وأن يسألوا الله تعالى التوفيق لذلك، وبذلك يكون النص القرآني (وقل ربّ زدني علما) والمؤكد بالحديث الشريف (وزدني علما)، قد تضمّن تقريراً واضحاً لمبدأ التعليم المستمر، ودعوة بيّنة إلى جعل الاستزادة من المعرفة وتراكمها فكرة أساسية في المنظور التربوي للعلم وللمعرفة.

ويجد المتمعّن في النص القرآني الكريم: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوّة) (الأنفال، ٦٠)، أمرين على صلة بفكرة التعليم المستمر، الأول: تتصل في كون التجديد والتطوير في مقومات المجتمع المسلم وقدراته مطلباً قرآنياً، وهذا يلزم الاستمرارية في البحث العلمي والاطلاع على الجديد، وعدم الجمود على ما لدى المجتمع المسلم. والثاني: أن ميادين التعليم المستمر لا تختص بالعلم الشرعي فقط، وإنما تتسع لتشمل العلوم المادية الأخرى، كالعلوم الصناعية والحربية وغيرها مما يفيد المجتمع. كما يؤخذ من معنى الآية الكريمة (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)، أي: كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات والمدافع والرشاشات والبنادق والطيارات الجوية والمراكب البرية والبحرية، والحصون، والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأي والسياسة التي بها يتقدم المسلمون ويندفع عنهم به شرّ أعدائهم[٣٤]. ففي الآية استمرار التطوير في العلوم المادية المقوّية لجسم الأمة ومنعتها، وهذا يعني استمرارية الكشف عن المعرفة واستمرارية توظيفها بالشكل الأفضل لخدمة المجتمع والأمة. وأيضاً تؤكد الآية أهمية مجال العلوم الدنيوية والمادية إلى العلوم الشرعية، وهذه هي ميادين العلم والتعليم المستمر في المنظور التربوي الإسلامي، ويجد الناظر في حياة نبي الله داود عليه السلام كيف جمع الله له تعالى بين علوم الدين، كما في قوله تعالى في حقه وحق سليمان عليهما السلام: (وكلاً آتينا حكماً وعلماً) (الأنبياء، ٧٩)، ثم قال تعالى في حق داود عليه السلام: (وعلمناه صنعة لبوس لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون) (الأنبياء، ٨٠)، قال السعدي: "أي: علّم الله داود عليه السلام، صنعة الدروع، فهو أول من صنعها وعلّمها، وسرت صناعته إلى مَنْ بعده"[٣٥]. فالشاهد الذي يناسب موضوع المبحث، شمولية ميدان التعليم المستمر للعلوم المادية والمهنية دون اقتصاره على الشرعية، وأن الاستزادة والاستمرارية في التعلم مطلوبة في كل ميادين المعرفة والعلوم النافعة والصالحة.

ويجد الناظر في السنة النبوية الشريفة تقديرات غاية في الوضوح فيما يتعلق بالتعليم المستمر من مختلف جوانبه ومكوناته وتطبيقاته. فمن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (طلب العلم فريضة على كل مسلم) [٣٦]. قال السيوطي في فقه الحديث: هو "العلم العام الذي لا يسع البالغ العاقل جهله. أو علم ما يطرأ له خاصة"[٣٧]، وقال القاري: (اطلب العلم): أي ما لا بد منه، (فريضة)، أي: عينية أو مطلق طلب علم الشريعة فريضة، منها فرض عين، ومنها فرض كفاية. (على كل مسلم)، وفي معناه: كل مسلمة"[٣٨]. وقال ابن المبارك في فقه الحديث عندما سئل: ما الذي لا يسع المؤمن من تعليم العلم إلا أن يطلبه؟ قال: لا يسع المؤمن أن يقدم على شيء إلا بعلم، ولا يسعه حتى يسأل[٣٩]. فهذا الحديث يشير إلى أن التعليم في المجتمع المسلم، يعمّ كل أفراد المجتمع، وأن كل مسلم ومسلمة لا بد أن يتعلما حداً معينا، ثم يستزيدا بحسب واقع حياتهما وعملهما واختصاصهما، فيتعلما ما يتصل بكل ذلك قدر حاجتهما. فالحديث يعني تعلم الجميع، أي أن يصبح المجتمع المسلم كله مجتمعاً معرفياً متعلماً، وإن تفاوت الأفراد في ذلك. ولا شك أن هذا من أهم أفكار وجوانب التعليم المستمر في المجتمعات.

وكما في السنة دعوة جميع أبناء المجتمع المسلم إلى التعلم رجالا ونساءً، فإن فيها الدعوة والحث على نشر العلم،

والاستمرار في تقديم العلوم والمعارف لجميع أفراد المجتمع، والترغيب بذلك أيما ترغيب، فقد قال صلى الله عليه وسلم: (بلغوا عني ولو آية)[٤٠]. قال ابن حجر: "وقال في الحديث ولو آية، أي: واحدة. ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآي ولو قلّ"[٤١]. والآية في الحديث تتضمن آي القرآن. ويفهم منه تبليغ الحديث، وكل كلام مفيد[٤٢]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (وليبلغ الشاهد الغائب)[٤٣]. وقد بوّب البخاري لهذا الحديث تحت "باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب، قاله ابن عباس رضي الله عنهما"[٤٤]. ففيه دعوة صريحة لنشر العلم والمعرفة إلى أقصى مدى ممكن. وتتضمن السنة النبوية الترغيب (الدافعيّة) للاستمرار في طلب العلم والاستمرار في تعليمه دون توقف، رجاء أن يعمّ العلم المجتمع المسلم كلّه، كما في قوله صلى الله عليه وسلم؛ داعياً لأطراف العملية التعليمية: (نضّر الله امرءاً سمع منّا حديثاً فحفظه حتى يبلغه)[٤٥]. قال ابن القيم في دلالات هذا الحديث: "ولو لم يكن في فضل العلم إلا هذا وحده لكفى به شرفاً، فإنّ النبي صلى الله عليه وسلم دعا لمن سمع كلامه ووعاه وحفظه وبلّغه. وهذه هي مراتب العلم. أوّلها وثانيها: سماعه وعقله، المرتبة الثالثة: تعاهده وحفظه حتى لا ينساه فيذهب. المرتبة الرابعة: تبلغيه وبثه في الأمة ليحصل به ثمرته ومقصوده، وهو بثه في الأمة"[٤٦].

وفي السنة النبوية تقرير للفئات المستهدفة من وراء التعليم عامة والتعليم المستمر خاصة، فكما أن دعوة السنة إلى استمرارية عملية التعلم والتعليم جليّة ومرغب فيها أيما ترغيب، كذلك في السنة النبوية تأكيد مهم على جانب أساسي في فكرة التعليم المستمر وهي عموم الفئات المستهدفة بالتعليم لكل مكونات المجتمع وطبقاته، ففي الأحاديث السابقة الذكر يعمّ الخطاب كل مسلم ومسلمة، وفي السنة التأكيد على أحقية فئة النساء بالتعلم، فكما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: (قالت النساء للنبي صلى الله عليه وسلم غَلَبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك. فوعدهن يوماً لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن)[٤٧]. وفي السنة النبوية حرص على نشر العلم في داخل الأسرة المسلمة، لأن بعض أفرادها قد لا ينالون الفرصة لمغادرة المنزل إلى مجالس العلم وحضور دروس العلم. ففي حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه لما جاء في وفد عبد القيس إلى المدينة المنورة للتعلم ومعرفة أمور الدين، قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم لما تجهزوا ليعودوا: (ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم)، وفي رواية: (احفظوه- أي العلم الذي تعلموه- وأخبروه من وراءكم) [٤٨]. وهناك روايات عديدة في تعليم النبي صلى الله عليه وسلم لفئة كبار السن ولفئة الشباب ولفئة الأطفال ولفئة الفقراء-كأهل الصّفّة- ولفئة عامة الناس من علماء وجهّال وبسطاء ووجهاء[٤٩]. ومن أعجب ما يلفت الانتباه في الفئات التي حظيت بحق التعلم، فئة "العبيد". فقد قال صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لهم أجران- وذكر منهم- ورجل كانت عنده أمةٌ فأدبّها فأحسن تأديبها، وعلمّها فأحسن تعليمها، ثمّ أعتقها فتزوجها، فله أجران) [٥٠]. والحقيقة أن القارئ لمثل هذا الحديث يقف مشدوها ومعجباً ومسبحاً، وحامداً، أمام عظمة هذا الحديث وفحواه وغاياته النبيلة، وأمام ما فيه من امتداد مساحة التعليم في السنة النبوية لتصل إلى عقول وقلوب العبيد والإماء.

ومن التقديرات المهمة لمحاور التعليم المستمر في السنة النبوية تأكيدها على المجال العلمي الواسع والمفتوح، طالما هو نافع للأمة، وتأكيدها كذلك على المرونة بالأساليب والوسائل في نشر العلم وضمان الاستمرار في تعلمه وتعليمه، وهذا ظاهر في الحديث الشريف الذي رواه أبو الدرداء رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من سلك طريقاً يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة)[٥١]. قال ابن صبحي: "قوله (طريقا) نكرها، ونكر (علما) لتناول أنواع الطرق الموصلة إلى تحصيل العلوم الدينية، وليندرج فيه القليل والكثير"[٥٢]. وقال المناوي: "(من سلك طريقا) حسية أو معنوية... (علما) نكره ليشمل كل علم وآلته، ويندرج فيه ما قلّ وكثر"[٥٣]. ومن مظاهر التنوع في أساليب ووسائل ومؤسسات (أمثلة) التعليم ليستمر في المجتمع المسلم[٥٤]، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم الناس في بيته وفي المسجد وفي السفر وفي ساحات القتال وفي طرقات المدينة، وأثناء الحج والعمرة، بل حتى كان يعلمهم وهو راكب دابته، ويستخدم مختلف الوسائل التعليمية من الرسم والتشبيه والقياس، والحيوانات الميتة كما في حديث الجدي الأسَك[٥٥]، وتزهيده للناس بالدنيا، وغير ذلك مما جاء في روايات عديدة. وكل هذا يؤكد فكرة التعليم المستمر وجوانبها وأدواتها.

ثانيا: تطبيقات مبدأ التعليم المستمر في التراث التربوي والحضارة الإسلامية

يمثل التراث التربوي الإسلامي مخزونا تربويا وتعليميا قيما، تتمثل فيه مختلف الجوانب المتصلة بالعملية التربوية والتعليمية العامة، والمستمرة وتعليم الكبار؛ من آراء ومقولات وأفكار بل ونظريات تحتاج إلى مزيد من البحث والنظر والجمع والتحليل. وتمثل في المقابل الحضارة الإسلامية التطبيق العملي والتنفيذ الفعلي لنظرية التربية والتعليم الشمولية في الإسلام. وتختزن كما كبيراً من تجربة المسلمين الغنيّة والثريّة في مجال التعليم العام والمستمر. وفيما يأتي محاولة محدودة لطبيعة الدراسة

ووجهتها لإيضاح شيء من ذلك، بما يؤكد فكرة عنوان المبحث، من كون التعليم المستمر كان حاضرا فكرة وتطبيقا في السياق العام للتراث التربوي والتجربة الفعلية لوجهه الحضاري.

لقد عبّر علماء الأمة وفقهاؤها ومربوها عن وعيهم الكامل بفكرة التعليم المستمر أو الدائم وعن مختلف أوجهها ومكوّناتها من خلال آرائهم ومواقفهم، فهذا ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم لينهل من علوم ومعارف المدرسة النبوية، ثم لما ينهي مطلبه التعليمي هذا، إذا به يقول للنبي صلى الله عليه وسلم: "آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي"[٥٦]. فعمل رضي الله عنه على نقل العلوم التي تعلمها إلى مختلف شرائح مجتمعه، ولم يقف به عند نفسه. وقد حرص الصحابة على التعلم حتى في كبر سنهم. واللافت للنظر نص البخاري رحمه الله على تعليم الكبار بقوله تحت باب الاغتباط في العلم والحكمة: "وقد تعلم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في كبر سنهم"[٥٧]. فهذا نص في غاية الوضوح على مبدأ "تعليم الكبار"[٥٨] والذي يشكل الفكرة الأساسية في انطلاقة منهجية التعليم المستمر في عصرنا الحاضر. ويدعو عمر رضي الله عنه إلى ضرورة استغلال الأوقات المناسبة والفراغ الممكن في التعلم، ويوجه كل فرد في المجتمع إلى ضرورة أن ينال قسطا من العلم قبل أن يدخل عالم المناصب أو الوظائف أو المسؤوليات وذلك بقوله رضي الله عنه: "تعلموا قبل أن تسودوا". ليقرر أن عملية التعلم ليست مقتصرة على طلبة العلم بل تعم جميع مفاصل المجتمع. كما يجد الناظر في سيرة عمر رضي الله عنه وفقهه لأهمية التعليم مكانته ودوره في حياة الإنسان بشكل عام، فيقدّم رضي الله عنه تطبيقا عمليا لفكرة التعليم المستمر، وذلك حينما يقول: " كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد– وهي من عوالي المدينة– وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ينزل يوما وأنزل يوما، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك"[٥٩]. وقد بوب البخاري لهذه الرواية بقوله: "باب التناوب في العلم". فهذا موقف تطبيقي يؤكد عملية التعليم المستمر لدى الصحابة تحت أقسى الظروف، وهي ظروف العمل والزراعة والبحث عن لقمة العيش. وفي هذا الموقف تقديم حل لمعوّق العمل ومشكلة الشغل وكيفية التغلب عليها، بطريق التناوب بين المجموعة العاملة في طلب العلم والتفرغ له بالدور، ثم في تعليم بعضهم بعضا، ونقل كل جديد معرفي يحصل عليه أحد أفراد المجموعة إلى الآخر. فعمر رضي الله عنه يدعو إلى إحياء عملية التعلم والتعليم واستمرارها بكل السبل الممكنة، كيف لا؟ وهو الذي يقول: تعلموا العلم. وعلّموه الناس"[٦٠]. فهي دعوة صريحة إلى تعميم العلم على كل أفراد المجتمع دون أن يقتصر على فئة معينة. لأن الناس كلهم بحاجة إلى قدَر من العلم ولا يمكنهم الاستغناء عنه، ولذلك يقول الإمام أحمد معبراً عن هذه الحقيقة النفسية والاجتماعية: " الناس محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب، لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين، والعلم يحتاج إليه بعدد الأنفاس"[٦١]. فهي إذن دعوات صريحة إلى جوهر عملية التعليم المستمر والعام، الذي يستفيد منه الجميع.

ويؤكد علماء الأمة، بأن المنظور الإسلامي والتربوي للعلم، يشير إلى أنه لا حد لطلب العلم، ولا مستوى معين للعلوم وللمعارف، أي أنه لا توقف للعملية التعليمية، فهي عملية مستمرة ودائمة، يقول ابن مسعود معبرا عن هذه الحقيقة: "لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني لرحلت إليه"[٦٢]، وقال الشعبي: "لو أن رجلا سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن ليسمع كلمة حكمة ما رأيت سفره ضاع"[٦٣]. إذن فهو الاستمرار في طلب العلم وبكل وسيلة ممكنة، وتحمل التكلفة المادية والمعنوية لأجل ذلك.

وقد حرص علماء الأمة على تأكيد مبدأ التعليم المستمر، والتعليم مدى الحياة، والتعليم في الكبر، عن طريق نشر ثقافة هذا المبدأ وترسيخه في المجتمع، وعن طريق ممارسته والتوجيه الفعلي إليه. قال نعيم بن حماد: سمعت عبد الله بن المبارك رضي الله عنه يقول– وقد عابه قوم من كثرة طلبه للحديث، فقالوا له: إلى متى تسمع؟ قال: إلى الممات[٦٤]. وقال محمد بن إسماعيل الصائغ: كنت أصوغ مع أبي ببغداد، فمر بنا أحمد بن حنبل وهو يعدو، ونعلاه في يديه، فأخذ أبي بمجامع ثوبه، فقال: يا أبا عبد الله، ألا تستحي؟ إلى متى تعدو مع هؤلاء؟ قال: إلى الموت[٦٥]. وقال عبد الله بن بشر: أرجو أن يأتيني أمر ربي والمحبرة في يدي، ولم يفارقني القلم والمحبرة[٦٦]. ولما سأل إبراهيم بن المهدي المأمون قائلا له: إلى متى يحسن بي طلب العلم؟ قال: ما حسنت بك الحياة[٦٧]. وهكذا " كان المسلمون يؤكدون على ضرورة التربية المستمرة. فنادوا بهذا المبدأ قولا وطبقوه عملا منذ أمد بعيد"[٦٨]. وهذا " المبدأ يشير إلى ضرورة أن يتعلم المرء وباستمرار دون أن يتوقف عند مستوى تعليمي معين، حتى لو بلغ أعلى المراتب العلمية. فالمرء حسب هذا المبدأ يتعين عليه أن ينتقل من مستوى دراسي إلى غيره، ومن مرحلة دراسية إلى أخرى، وذلك حسب حاجاته ورغباته، وحسب متطلبات المهن ومقتضيات الظروف والأحوال"[٦٩]. وعلى أبناء المجتمع المسلم "أن يتعلموا طيلة أيام حياتهم إذا توفر لديهم عاملا القدرة والرغبة. أما

بالنسبة للعمر والمستوى التعليمي فلا يمكن أن يكونا من وجهة نظر المسلمين حائلين بين المرء واستمراره في الدراسة"[٧٠]، وطلب العلم وتعليم الآخرين. وإن آراء علمائنا هذه في تقدير مبدأ التعليم المستمر والتعليم مدى الحياة مستقاة من مشكاة القرآن التي فيها قوله تعالى: (وقل ربّ زدني علما) (طه، ١١٤). ومن مشكاة النبوة التي فيها قول نبينا صلى الله عليه وسلم: (منهومان لا يشبعان طالبهما: طالب علم، وطالب الدنيا)[٧١]. وقوله: "منهومان من النهم وهو الولوع بالشيء، أي: حريصان على تحصيل أقصى غايات مطلوبيهما. وقوله: "لا يشبعان " أي: لا يقنعان. وطالب العلم لا يشبع منه، لأنه في طلب الزيادة دائما وليس له نهاية[٧٢]. ومن هنا فإن المنظور التراثي التربوي المتمثل ههنا بآراء علماء المسلمين ومواقفهم العملية، يقرر فكرة مبدأ التعليم المستمر والتعلّم مدى الحياة واستمرار العملية التعليمية دون توقف، انطلاقا من وعيهم بالمنهج القرآني والنبوي ونظرته الأصيلة والعميقة للعلم ودوره في الحياة.

هذا التراث التربوي الزاخر بتوجهات التعليم المستمر والتربية المستديمة، لم يقف عند حدّ التنظير، ولا عند مستوى التنفيذ الفردي، بل تحول إلى واقع عملي وسلوك اجتماعي وظاهرة حضارية، يشهد لها واقع الأمة المسلمة وتاريخها ومؤرخوها، وقد رصد الباحثون في مسيرة التعليم الإسلامية، وتطور حضارة الإسلام مؤسسات التعليم وهي تعبّر عن وسائل التعليم المستمر، فمن ذلك– ويُكتفى هنا بالإشارة العامة كدليل على صحة الفكرة وواقعيتها– أن مراكز التعليم وأماكنه تنوعت تنوعاً كبيراً، فشملت: المساجد، والكتاب، والقصور، وحوانيت الوراقين، ومنازل العلماء، والمدارس، ودور الحكمة، والأربطة، والبيمارستانيات والمستشفيات، والمجالس الأدبية[٧٣]. وميادين القتال، حيث كانت تضمّ الجيوش الإسلامية القضاة والعلماء لكي يعلموا الجند الإسلامي من ناحية، ولكي يباشروا مهمتهم التعليمية والحضارية مع البلدان التي يدخلها الإسلام[٧٤]. وكانت مركز التعليم لا تقتصر على الحضر والأمصار الجديدة، بل كانت تمتد إلى البوادي[٧٥]، وغير ذلك من المراكز التي جعلت المجتمع ومرافقه الخاصة والعامة بمثابة مكتبات عامة وخاصة[٧٦].

ولم تقتصر مراكز التعليم العام والمستمر هذه على العلوم النقلية أو الشرعية، بل شملت كذلك ميادين العلوم الأخرى. وقد رصد أحد الباحثين ما سمّاه "مؤسسات التعليم الطبيعي والكوني"[٧٧] فذكر منها: المساجد والمكتبات المتخصصة للدراسات العليا سواء المؤسسة من قبل الأمراء أم الأفراد أم العلماء، وحوانيت الوراقين والمدارس والربط والحدائق والمراصد العلمية وغير ذلك، مشيراً إلى التنوع في طرق التعليم المستمر وأساليبه، مثل: الملاحظة والممارسة والملازمة للأستاذ، وطريقة المحاضرة والإملاء والمراسلات العلمية والمناظرات وغير ذلك.

والذي يراجع مصادر التراث الإسلامي والحضاري[٧٨] يقف على ثراء وتنوع واضح في مصادر التعليم المستمر وأساليبه ووسائله، التي تؤكد بدورها الشهود الحضاري لفكرة التعليم المستمر والتربية المجتمعية المستديمة، حيث الانطلاق في التعلم والتعليم بلا توقف، والانتشار لمؤسساته في مختلف خواضن المجتمع المسلم، والتطوير والتجديد المستمر له، والوصول إلى شرائح المجتمع كلها وانتشار مؤسساته دون استثناء.

من هنا تضمنت فلسفة التربية الإسلامية ومكوناتها وخصائصها موقفاً واضحاً حيال مبدأ تكافؤ الفرص، واستمرارية التربية، والتعلم مدى الحياة، وتعلم الكبار، والتطوير والتجديد المستمر للمعارف والمناهج وطرق التدريس ومؤسساته[٧٩]، وربطت كل ذلك بغاية سامية ونبيلة، هي تحقيق العبودية لله تعالى، وإعمار الأرض وفقاً للمنهج الإلهي، وقصداً لتوفير السعادة للمجتمع المسلم في الدنيا والفوز برضوان الله في الآخرة، وتحقيق الخيرية والشهود الحضاري. وتقع فكرة التعليم المستمر والتربية المستديمة في فلسفة التربية الإسلامية في إطار قوله تعالى: (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) (الحجر، ٩٩)، أي: الموت[٨٠]، بمعنى طوال الحياة. والعبادة لا بد أن تقوم على العلم وفي إطار قوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) (آل عمران، ١١٠)، فهناك استمرارية في الإصلاح الفردي والاجتماعي تحقيقاً لوصف الخيرية، وذلك يتطلب الاستمرارية في العلم والازدياد من المعرفة المتجددة، وفي إطار قوله تعالى: (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) (الجمعة، ٢). فلا بد من استمرارية عملية القراءة والتعليم والتزكية دون توقف تنفيذاً للمنهج القرآني في بناء الأمة وتربية أفرادها.

المبحث الثالث: أهم "تحدّيات العولمة الاجتماعية" ودور التعليم المستمر في مواجهتها من منظور تربوي إسلامي

يُعنى هذا المبحث بالوقوف على أهم التحدّيات التي تنتج في المجتمع المسلم بسبب ضغط العولمة "الاجتماعية" ومداخلها المختلفة على مكونات ومقومات الشخصية والمجتمع، ومبيّناً في الوقت نفسه أهمية التعليم المستمر من منظور تربوي إسلامي في التعامل مع هذه التحدّيات ومواجهتها والحدّ من آثارها السلبية.

أولاً: ضرورة التربية في مواجهة التحدّيات المجتمعية

تشكل التحدّيات التي يواجهها أي مجتمع من المجتمعات قلقاً لأبنائه وللقائمين على حمايته، فالتحدّي يعني "ذلك الوضع الذي يمثل وجوده تهديداً أو إضعافاً كلياً أو جزئياً، دائماً أو مؤقتاً لوجود وضع آخر يراد له الثبات والقوة والاستمرار"(٨١). وبالتالي يلزم التعامل مع التحدّيات بطريقة سليمة وواقعية، وباستخدام مختلف الطرق والآليات المجتمعية الممكنة والفاعلة، ولا شك أن للتربية والتعليم دوراً محورياً في مواجهة جميع أشكال التحدّيات والمخاطر التي تهدد المجتمع ومقوماته وعوامل ثباته، وذلك للصلة الوثيقة ما بين التربية والمجتمع: بناءً وتوجيهاً ومحافظة ووقاية وعلاجاً.

وتعدّ العولمة بمختلف أنماطها وأذرعها(٨٢) إحدى التحدّيات الجدّية والواقعية التي تواجه مجتمعاتنا المسلمة، بل وسائر المجتمعات الإنسانية التي لا تُعدّ مصدرةً للعولمة، وبخاصة المنتمية لدول العالم الثالث. ولا يمكن لأي مجتمع معاصر، ولا لأي تربية ذات فلسفة وقيمة التغافل عن موجات العولمة الكاسحة والحاملة لمختلف المؤثرات والفعاليات، وقد رصد أحد الباحثين أهم ما تحمله العولمة من ظواهر، وأهم ما أحدثته من تغييرات، حيث يقول: "وأيّاً ما كان الأمر، فالجديد في ظاهرة العولمة، أنها:

– – اكتسحت كل دول العالم، بما فيها الدول التي كانت معزولة كالصين مثلاً، وأوجدت أسواقاً جديدة موصولة بعضها ببعض. وأنهت الزمان والمكان، وتجاوزت الحدود الجغرافية والسياسية، واخترقت الثقافات القومية.

– أدت إلى الزيادة المذهلة في انتقال السلع والخدمات والاستثمارات، نتيجة التحرير المتنامي للأسواق.

– أدت إلى حدوث عولمة للتربية، وذلك بخروج نظم التعليم من أسوارها التقليدية، وتزايد إشراك القطاع الخاص في التعليم، وتحويل التعليم إلى نظم المعلومات والاتصالات والإعلام، وتحوّل الفضاء الكوني إلى بيئة للتربية.

– أدت إلى تعميم ثقافة ولغة الدول الرأسمالية الكبرى على الدول الأخرى، القائمة على الثقافة الاستهلاكية، نتيجة دمج الثقافة في العملية الاقتصادية التجارية، حتى باتت قابلة للتداول، شأنها شأن السلع المادية"(٨٣).

ومعنى ذلك، أن العولمة أيديوجية عالمية، تتم في غيبة الأيديولوجيات المناهضة لها، وتسعى إلى تنميط حياة الإنسان المعاصر بدءاً من احتواء كل نشاطاته وممارساته، ومروراً بتشكيل علاقاته، وأفكاره، وقيمه ومعتقداته، وتنميته وصحته، وانتهاءً بتسليته وشغل أوقات فراغة(٨٤)، وهل هناك أهداف للتربية والتعليم أقوى من بناء الإنسان، وتوجيه ممارساته الاجتماعية، والمحافظة على قيمه، وحفظ عقله وإشغال وقته بالنافع والمفيد؟ لذلك كان للتربية وللتعليم الدور المحوري في مواجهة ضغوطات العولمة تلك التي تهدف إلى تحوير الشخصية وتطويعها لملائمة توجهاتها لا توجهات المجتمع الذي ينتمي إليه ذلك الشخص.

فدور التربية– والتعليم المستمر– في مواجهة تحدّيات العولمة عموماً والعولمة الاجتماعية خصوصاً، "يحتل مقام الصدارة، لأنه ينطلق أصلاً من تغيير الإنسان، صانع التغيير. وتغيير الإنسان وتطويره وتنميته شرط لازم لأي تغيير اجتماعي، بالإضافة إلى أنه هدف بحدّ ذاته، وتشمل وسائل تغيير المجتمع التربية النظامية، وكذلك التربية غير النظامية من راديو وتلفزيون، وسينما وصحافة وغيرها، والمؤسسات الثقافية المختلفة، والتربية العفوية التي تحدث في الأسرة والمجتمع، وأنماط النشاط التي يقدّمها المجتمع"(٨٥). وبناء على ذلك "يعدّ التعليم المستمر ضرورة وطنية وقومية (وإسلامية) مستمرة لمواجهة تحدّيات العصر، وتحقيق آمال المجتمعات والأفراد في حياة سعيدة متقدمة، فالمجتمعات العصرية التي تصنع الحضارة، وتحقق التنمية، هي مجتمعات متعلمة لا تحتكر المعرفة فيها صفوة متميزة، بل تأخذ فيها الجماهير حظّها من العلوم والآداب والفنون بما يمكّنها من المشاركة باقتدار في بناء مجتمع الإنسانية"(٨٦).

ولا شك أن المجتمعات الإسلامية هي أَوْلى المجتمعات بتلك المشاركة للتعليم المستمر والفاعلية للتربية عموماً في استخدامها كرافعة للنهوض بالمجتمع المسلم– في ظل عصر المعرفة وطغيان العولمة– والمحافظة على قيمه، والسماح له بالإفادة من كل جديد ونافع، ووقايته من كلّ جديد ولكنه ضارّ وسلبي.

ثانياً: أبرز تحدّيات العولمة الاجتماعية وتوظيف التعليم المستمر في مواجهتها

تشهد المجتمعات العربية والإسلامية في هذه المرحلة تغيرات شديدة في نظمها المختلفة، ترتب عليها مشكلات وقضايا اجتماعية وثقافية خطيرة، فما أحدثته العولمة وثورة المعرفة والاتصالات من خلال أدواتها المختلفة ذو تأثير بالغ على نسق القيم الاجتماعية، حيث تشير وقائع الحياة اليومية إلى الانحراف عن التمسك بقيم المجتمع العربي المسلم وسلوكياته وأخلاقياته(٨٧). وعملت العولمة في قناعها الاجتماعي على "إخضاع سلوك الأفراد في مختلف المجتمعات وثقافتهم المركزية لنظام المفاهيم والقيم الاجتماعية والأنماط السلوكية السائدة في الغرب"(٨٨). وكان لوسائل الإعلام دوراً

محورياً في صياغة القيم الاجتماعية وفي تغييرها، حيث "يتفق علماء الاجتماع المعاصرين على أن ثورة تكنولوجيا عصر المعلومات والعولمة[٨٩] لم تغير فقط طبيعة الدولة القومية (والعربية والإسلامية)، بل أيضاً السلوكيات والقيم الاجتماعية، سواء أكانت بمعناها الموضوعي المرتبط بالفعل الجمعي أم بمعناها الذاتي المرتبط بالفرد"[٩٠]. والمهم أنه كان للعولمة بقناعها الاجتماعي انعكاسات سلبية مختلفة على عديد "من القيم الاجتماعية، من تشجيع لقيم الاستهلاك إلى غرس قيم العنف، والفردية والأنانية والمادية، وتفكك العلاقات الأسرية، وضعف العلاقات الاجتماعية، بالإضافة إلى التهاون القيمي"[٩١]، وتشويه معالم الهويات المجتمعية، والعبث بقيم الانتماء والدّين وثوابت الأمة، ومحاولة رسم ملامح جديدة للمجتمع الخاضع لفعل العولمة. ومما لا شك فيه أن للعولمة الاجتماعية[٩٢]- التي تعمل ضمن آلة العولمة الضخمة وتتصل بأذرعها المختلفة وتأخذ منها وتعطيها- تأثيراتها وتحدّياتها المتنوعة التي تصيب بها مجتمعاتنا العربية والإسلامية وتحدث فيها تغييرات بادية للعيان، ولا يمكن تجاوزها أو الإعراض عنها أو تركها تنمو أكثر وتتسع، وهذه التأثيرات والتحدّيات عديدة، ويمكن في هذه الدراسة الوقوف على ثلاثة منها، تعدّ من أبرزها وأكثرها أهمية[٩٣]، وهي بحسب اجتهاد الباحث، تخصّ تحدّي الانتماء (الهويّة)، وتحدّي تفكيك التواصل الاجتماعي، وتحدّي ترسيخ النزعة المادية، وسيتم عرضها، من جانب كونها تحدّيا وتأثيراً فرضتة العولمة الاجتماعية، ومن جانب دور التعليم المستمر في مواجهته والتعامل معه مع استصحاب المنظور التربوي الإسلامي في ذلك، وفيما يأتي بيان ذلك:

التحدّي الأول: تغيير اتجاه الانتماء المجتمعي والحضاري:

١- صورة التحدّي وأبعاده

تعدّ قضية "الانتماء" أو ما بات يعرف "بالهويّة"[٩٤]، من القضايا المركزية في كل المجتمعات والجماعات والقبليات والحضارات الإنسانية، وهي بالنسبة للأمة المسلمة قضية مفصلية؛ تعبّر عن عقيدة الأمة وخصوصية المجتمع المسلم، وثوابت الشخصية المسلمة، والوجهة الحضارية للمسلمين، وامتدادهم التاريخي، ونموذجهم التراثي.

ويتمثل الانتماء بالنسبة للمسلم في مجتمعه الإسلامي بدائرتين- بحسب اجتهاد الباحث- الأولى: دائرة الانتماء للأمة المسلمة، والاعتزاز بها وبحضارتها وتراثها وتاريخها المجيد، والشعور معها وحمل الهمّ لقضاياها، والدفاع عنها وعن عقيدتها الإسلامية، والثانية: دائرة الانتماء للمجتمع المسلم الذي يعيش فيه ولبلده ولوطنه، حيث يحافظ عليه، ويعيش بقيمه، ويسعى لتطويره وحلّ مشاكله وصدّ كل سوء عنه، وجلب كل نافع له، في إطار من القيم المجتمعية الإسلامية الرشيدة.

هذه القضية، قضية الانتماء- أو الهويّة- التي تعدّ من أبرز خصوصيات أي مجتمع أو أمة أو دولة، لم تعد آمنة في عصر الثورات التكنولوجية والمعرفية، ولم تعد مطمْئنة في زمن العولمة ولا مستقرة. وقد لحقها هذا التهديد وأصابها إصابات بليغة في عدد كثير من دول العالم العربي والإسلامي على تفاوت بينها بحسب قوة جهاز المناعة الاجتماعي والعلمي والحضاري لديها.

وتشكل العولمة بكل أذرعها- المتداخلة أصلاً بفعلها والممتزجة بأهدافها والمشتركة بآلياتها- وبخاصة ذراعها الثقافي والاجتماعي تحدّياً حقيقياً لهوية المجتمعات العربية والإسلامية ولاتجاهات الانتماء فيها، وهذا ما يؤكده عدد من الباحثين في مجال العولمة وتأثيراتها، فيقول الفتلاوي: "تعدّ العولمة تحدّياً للهوية القومية (عربية أو إسلامية) [٩٥]. ويرى الحاج بأن "تفكيك وتهميش الثقافات الوطنية بوساطة قوة وسائل الاتصال والإعلام والمعلومات التي تحتكرها الدول الرأسمالية الكبرى بقصد توجيه نمط الثقافة نحو تقوية منطق الاستهلاك لدى الشعوب" هو أحد الأهداف الرئيسية للعولمة، وأنها توظف العلم والمعرفة لاختراق الثقافات التقليدية[٩٦]. ويبين الدلال أن "طمس هوية الشعوب وتشويه عقائدها وثقافاتها وتاريخها، هو هدف أصلي من أهداف العولمة، وتوجه رئيس في وضع خططها وبرامج تنفيذها، والنماذج على ذلك كثيرة"[٩٧]. ويشير الحياري كذلك إلى أن "عولمة الاقتصاد والسياسة والإعلام في ظل سهولة الاتصال، كل ذلك يؤدي إلى توسيع النموذج الفكري والاجتماعي للقوى العظمى، وبالتالي إلى زعزعة أصول الهويّة الثقافية لدى الأمم"[٩٨]. وبات من الواضح والواقع الملموس أن العولمة الاجتماعية والثقافية "تخترق الهويات والخصوصيات عن طريق تهميش المفاهيم العقدية، والأخلاقية والثقافية التي ينفرد بها شعب من الشعوب، وأمة من الأمم، وإعادة صهرها وتشكيلها[٩٩] في إطار هوية شخصية عالمية، أي: الانتقال بها من الخصوصية الخاصّة إلى العمومية العامة، بحيث يفقد الفرد مرجعيته، ويتخلّى عن انتمائه وولائه، ويتنصّل من جذوره، وهو ما سبق أن تعرضت له البشرية في مراحل تطورها المختلفة من أسر وعشائر إلى قبائل ثم إلى شعوب، ثم إلى ممالك وإمبراطوريات، ثم إلى دول، والآن إلى مجتمع عالمي متقدّم"[١٠٠]. فهذا ما أصبح يميز هذا الذراع من أذرع العولمة كما يشهد بذلك واقعه الراهن، وهو "العمل على طمس معالم القيم المحليّة وتهميشها لتحلّ محلّها قيم العولمة"[١٠١] والتي

هدفها التطبيع مع الهيمنة وتكريس التبعية الحضارية، وإفراغ الهويّة الجماعية من كل محتوى، من أجل تفتيت الأمة، وربط الناس بعالم "اللاّأمة" و"اللاوطن" و"اللادولة" و"اللاهوية"(١٠٢)، فتضيع قيمة الانتماء المجتمعي على مستوى المجتمع والوطن والدولة، وتضيع قيمة الانتماء الحضاري على مستوى الأمة، أمام قوّة العولمة الثقافية والاجتماعية التي تنزع باتجاه عولمة الانتماء والهويّة.

وتستخدم العولمة الاجتماعية والثقافية أساليب وآليات مختلفة لتغيير اتجاه الانتماء ومحْوه وزعزعته وزرع البديل الخارجي عنه، فعمليات اختراقها للهويات الوطنية وللانتماءات المحلية والحضارية لا تفرضه عملية تنميط وتوحيد الاستهلاك المادي والثقافي فحسب، وإنما أيضاً بإبراز العولمة بوصفها ايديولوجية تحاول إظهار نفسها كمعتقد للصراع الايديولوجي من خلال السيطرة على الإدراك لتشكيل الوعي وتوجيهه، ونشر ثقافة إعلامية وإعلانية، اتصالية تسطح الفكر وتزيف الوعي، وتشوش نظام القيم، وتنمط السلوك، ناشرة بذلك جملة من الأوهام: وهم الخيار الشخصي، ووهم الحياد، ووهم غياب الصراع الاجتماعي. وتحت دعاوى تحرير الفرد والتعبير عن رأيه يتم تفكيك الفرد عن أمته. وعزله عن قضايا مجتمعه، وإعادة تشكيل قناعاته الوطنية والدينية والقومية(١٠٣). وتشويه ثقافات "الذاتية التاريخية" للأمة المسلمة(١٠٤). وبسبب سرعة التحولات التي تحملها العولمة الاجتماعية والثقافية في أنماط الحياة وقيمها الخاصة بها، يصبح من العسير أن تظلّ قيم الهويّة والانتماء على استقرارها المعهود(١٠٥)، إذا ما تركت في المقابل في وضعها السابق الذي كانت عليه قبل موجات العولمة. أي أن قضية الانتماء للمجتمع وللوطن والأمة المسلمة، قضية مستهدفة من قبل العولمة الاجتماعية.

٢- دور التعليم المستمر في مواجهته

إذن، الواقع المجتمعي- العربي منه والإسلامي- يواجه تحدّياً حقيقياً في سلامة الهويّة ووحدة الانتماء، وهو تحدٍّ يواجه أول ما يواجه مؤسساته التربوية والتعليمية والثقافية، وهو إحدى التحدّيات المهمة التي تواجهها تلك المؤسسات في هذا العصر خصوصاً، فهي في الأصل تواجه عدداً من التحدّيات "في أداء رسالتها، إلا أن هذه التحدّيات والمعضلات أصبحت أكثر حدّة وشراسة في هذا العصر؛ حيث لم تعد التربية تتمثل في أداء الأسرة والمدرسة ومؤسسات المجتمع، بل أصبحت تتمّ عبر وكالات التنشئة العالمية المتعددة والمتناقضة، فعصر العولمة الذي يجسده ثورة الاتصالات، وتدفق المعلومات، وسيادة ثقافة الصورة، يعمل على تهديد خصوصيات الشعوب الثقافية، ويضعف دور المؤسسات التربوية في صياغة الشخصية الوطنية (والإسلامية) وغرس الهويّة"(١٠٦). والانتماء. ومن هنا تكون الخطوة الأهم في مواجهة تحدّي الانتماء، بتقوية بُنْية المؤسسات التربوية المجتمعية وامتداداتها ومختلف قنواتها، والتي أهمها قناة "التعليم المستمر"، لتتمكن من القيام بدورها المجتمعي المطلوب في ظل هذا النوع من التحدّي الذي تفرضه العولمة الاجتماعية.

والتربية في أي عصر، بكل أنماطها، ومنه نمط التعليم المستمر ونمط التربية المستمرة، لا بد أن "تحمل خصائص هذا العصر، وهي في أي مجتمع يجب عليها أن تحافظ على خصائص المجتمع، وتعمل على تنميتها، وتصنع مستقبل مجتمعها بصناعة أفراده ليعيشوا العصر، بشرط أن يتم ذلك كله في إطار من الذاتية الثقافية، أو ما يطلق عليه الهويّة الثقافية. إن شرط جودة التربية أن تكون محافظة ومجددة في الوقت نفسه، محافظة على هوية مجتمعها، بأن تكون انعكاساً لقيمه الخالدة، وأن تكون كذلك انعكاساً لأفضل ما في عصرها من متغيرات"(١٠٧). ومما يساعد على تحقيق هذه الصورة الواقعية لدور التربية في المجتمع، التعليم المستمر، الذي يمتاز بخاصية المرونة التي تسمح له بالولوج في كلّ جديد والتعامل معه مع المحافظة على ثوابته المنطلقة من فلسفة التربية المجتمعية المستمدة من أصول الإسلام.

والنظام التعليمي بكل قنواته الرسمية وغير الرسمية، والمستمر وغير المستمر الذي يمكنه المحافظة على انتمائنا "وهويتنا ومكانتنا في عصر العولمة، هو التعليم الذي يعمق الهويّة، ويغرس الانتماء والولاء للأمة ثمّ الوطن. فالاختراق الثقافي، وتضارب وكالات التنشئة، وتزايد حالة الاغتراب الثقافي التي يعيشها بعض أبناء الأمة، تتطلب من النظام التربوي أن يؤدي دوراً أكثر فاعلية في تعزيز الهويّة، وتعميق الانتماء، والاعتداد بثقافة الأمة وثوابتها"(١٠٨). وتنمية إحساسه بالمسؤولية الاجتماعية وشعوره تجاه مجتمعه وقضاياه، واهتمامه بمصير أمته ومعاناتها، ليقدم بذلك انتماء حقيقياً للمجتمع وللأمة وللوطن، يعبّر عنه بمواقف، دون أن يأخذه عصف العولمة الاجتماعية بعيداً عن كل هذا، أو يلوث مشاعره أو يحرف عواطفه واهتماماته، فلا يُلقى بالاً لأحوال أبناء مجتمعه وقضايا بلده وأمته، لأن اتجاه الانتماء عنده قد انحرف عن مساره. ومن هنا تقع على عاتق التعليم المستمر بكل قنواته وأدواته مسؤولية كبيرة في استمرار عملية تدفق الشحن العاطفي والقِيَمي والتاريخي والحضاري لجميع أبناء المجتمع لكي يتمكنوا من البقاء على اتصال مع جذورهم الحضارية والاجتماعية والإسلامية، وليستطيعوا تقديم فعاليات

على أرض الواقع تشهد باعتزازهم بهويتهم الخالدة وانتمائهم الصادق، والذي به فقط يؤكدون أنهم قد تجاوزوا محنة العولمة الاجتماعية التي فرضت عليهم تحويرات خطيرة في قضية الانتماء، وأنهم متمسكون بثوابت المجتمع المسلم.

والمنظور التربوي الإسلامي للتعليم المستمر، يجعل منه عملية تربوية مستمرة تقوم بتعزيز روح الولاء والانتماء في شخصية المسلم تجاه مجتمعه وأمته، والعمل الدؤوب على حماية بلده وأبناء مجتمعه من مختلف أشكال الاختراق الثقافي والتربوي[١٠٩]. ذلك أن من الأهداف الحضارية والاجتماعية الكبرى للتعليم المستمر وللتربية المستديمة من المنظور التربوي الإسلامي هو العمل على تحقيق تميّز الأمة والمحافظة على خصائص المجتمع المسلم وهويته[١١٠]. وهو هدف ثابت لا يتغير مع تغيرات العولمة ولا يتلون بتلوناتها. ولعلّ من السبل الفعالة لتحقيق هذا الهدف هو أن يعمل التعليم المستمر على "تعميق شعور الإيمان بالله والأخوة في الله"[١١١] في نفوس جميع فئات المجتمع المسلم دون استثناء. وهي عملية ذاتية وطويلة. ذلك أن "الهويّة والانتماء هما في أساس تكوين الشخصية، بل هما يشكلان نواتها، ونقطة الارتكاز في مرجعيتها. ولا تفرض الهويّة، أو يشكل الانتماء من خلال مشروع تنشئة من الخارج، بل هما خاصة حيوية لبناء وحدة الكيان الوجودي، يندفع فيهما الطفل منذ بداية حياته، حيث يشكلان معاً أحد أبرز محاور مشروعه الذاتي لبناء كيانه. فهو باحث عن هذا الانتماء، وقائم بعملية الهويّة بشكل نشط ودؤوب؛ بدءاً من تمثله لاسمه وجنسه وانتمائه إلى والدين وأسرة، وامتداداً إلى محيطه الاجتماعي"[١١٢]، ثم امتداداً إلى محيط أمته المسلمة.

وواقع الأمة والمجتمعات العربية والإسلامية اليوم في أمس الحاجة إلى تفعيل دور التعليم المستمر في مواجهة تحدّي تغيير اتجاه الانتماء وتحوير الهويّة الذي تفرضه العولمة الاجتماعية والثقافية وما يتصل بهما؛ وذلك بتوجيه فلسفة التعليم المستمر ومنهاجه وآلياته للعمل على زرع مضامين الانتماء "والهويّة في نفوس أبنائها، وبناء التصورات المتعلقة بالكون والإنسان والحياة، وفق تلك الهويّة، ينهض بذلك مؤسسات المجتمع والأمة، ويتحمّل كل منهما دوره المنوط في ذلك"[١١٣]، ومن ذلك:

– أن تنهض الأسرة بدورها الحقيقي في تربية الانتماء وغرس الهويّة الإسلامية في شخصية الفرد المسلم منذ الطفولة، وصياغته صياغة متكاملة من حيث المعتقد والأخلاق والقيم والمشاعر، طوال مراحل نموه[١١٤]، بما يحقق له حصانة ضد طوفان الخارج واعتزازاً بمجتمعه وانتمائه لأمته وبلده.

– أنْ تستمرّ العملية التعليمية المستمرة، بتقديم المعارف والحقائق وبثها في عقول المتعلمين ونفوسهم، والتي من "شأنها ترسيخ الهويّة الإسلامية لدى الفرد المسلم، لأنها هي التي تمنحه الانتماء الحقيقي، الذي يبقى ولا يزول، لأمته ووطنه، وهذا يؤكد على العناية بالتعليم النابع من مصادره الإسلامية من خلال القرآن الكريم، وتوفير الإمكانات سواء الحكومية أو الأهلية"[١١٥]، التي تعمل على تقديم هذا التعليم النافع الذي يحفظ قيم الشخصية المسلمة من الذوبان في تيارات العولمة الاجتماعية وغيرها.

– أن يعنى المجتمع بكل مؤسساته الجامعية والنقابية والصناعية وغيرها، بإدامة نشر الوعي بقيمة الصناعات الوطنية والإنجازات التي يقوم بها أبناء المجتمع، وهذا من شأن مهام التعليم المستمر "المهني" ومن دوره ومجهوداته اللازمة بشكل أكبر في هذا الوقت، الذي تسعى فيه العولمة الثقافية والاجتماعية إلى تذويب الانتماء وتشويه الهويّة، مستخدمة بذلك أداة خطيرة هي: "تدمير الصناعات الوطنية"[١١٦]، وإضعاف قيمتها في نفوس أبناء مجتمعها. وهذا بلا شك شكل من أشكال تغيير اتجاه الانتماء وإنقاص قدره ومكانته. لذلك كان "من أبرز مقومات المحافظة على الهويّة هو تشجيع السلع والخدمات المحلية"[١١٧]. لأنها تعطى دفعة نفسية قوية لأبناء المجتمع للاعتزاز بقِيمهم وقدراتهم، وتجعلهم يدافعون عن هوية مجتمعهم ويتمسكون أكثر بالانتماء إليه. وهذا بحاجة إلى الاستمرارية في تعزيز التعليم المهني وتطويره، وهذه من أبرز مهام التعليم المستمر.

– أن تعمل مؤسسات التربية المستمرة على نشر قيم التراث والحضارة والتاريخ في نفوس الأجيال المعاصرة، وتشجيع عمليات التعلم والتعليم والمحادثة باللغة العربية بصورة أكثر فاعلية، وواقعية[١١٨]. فقيم التراث والحضارة تشكل الجذور التي تنمو بها الهويّة وعقيدة الانتماء. واللغة العربية تشكل الوعاء الذي يحفظ تلك الهويّة ويمسك الانتماء من التدفق خارج ذلك الوعاء، الذي هو المجتمع والوطن والبلد المسلم، فهذه طريقة أساسية لا بد أن تعمل التربية المستمرة على تطبيقها والأخذ بها بصورة مستمرة في المجتمع المسلم حتى تديم ارتباطه بأصوله التي تحفظ عليه هويته وانتماءه في ظل عواصف العولمة الاجتماعية والثقافية التي تهدد فعليا تلك الهويّة وذلك الانتماء الذي بتغيره ينقطع أبناء المجتمع عن أصولهم.

– أن يتم تحدّيد ملامح الخطاب الدعوي المعاصر، بحيث يُعنى بقضية الهويّة والانتماء[١١٩]، وبتحدّيات العولمة الاجتماعية وغيرها، ذلك أن الدعوة إلى الله تعالى في المنظور التربوي الإسلامي تعدّ وسيلة أساسية ومحورية من وسائل

التعليم المستمر والتربية المستديمة في المجتمع المسلم، فهي عملية دائمة بلا توقف ولا انقطاع، لقوله تعالى: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) (يوسف، ١٠٨) وأتْباعُ النبي صلى الله عليه وسلم قائمون بأمر الدين والدعوة إلى قيام الساعة، وعليه فلا بدّ أن يحرص الدعاة على تقديم البرامج الدعوية والعلمية والتربوية ومن خلال وسائل الإعلام التقليدية والحديثة كافة، التي من شأنها تعظيم قيمة "الانتماء" للمجتمع وللبلد وللأمة، وتنمية العاطفة تجاهها، وتوجيه طاقات واهتمامات أبناء المجتمع بما يحققها على أرض الواقع لا أن تبقى مجرد شعارات، وأن تعمل على توعيتهم بمخاطر العولمة الاجتماعية التي تعمل على زحزحة هذا الثابت من ثوابت الإنسان المسلم، وأن تذكره بأن قضية الانتماء والهويّة في منظورنا الإسلامي هي قضية مصيرية، لأنها قضية عقدية وإيمانية، وهذا يجعل الدعوة إلى الله تعالى تستنفر كل مراكز التعليم المستمر في المجتمع للعمل الدؤوب على وقاية أبناء المجتمع من هذا المنعطف الخطر للعولمة الاجتماعية بزلزلتها لاتجاه الانتماء، والعمل على إدامة هذا الاتجاه في مساره الصحيح، وتعزيزه، وتفعيل تطبيقاته في الواقع الاجتماعي، وبذلك يكون التعليم المستمر قد قام بدوره المطلوب منه في التعامل مع هذا الأثر السلبي للعولمة الاجتماعية، وقدّم لمجتمعه خدمة مصيرية.

التحدّي الثاني: توهين التواصل الاجتماعي وتفتيت قيم السلوك المجتمعي

١- صورة التحدّي وأبعاده

الناظر في أبعاد العولمة وآثارها يلحظ بأنها أحدثت تغييرات ملحوظة في الحياة الاجتماعية للأفراد داخل مجتمعاتهم التي ينتمون إليها، وأنها غيرت إلى حدّ ما بعض اتجاهاتهم الاجتماعية وقيمهم الجماعية والسلوكية، وذلك بسبب ما تملكه العولمة من قوى هائلة: تكنولوجية وإعلامية واقتصادية وسياسية تحمل أطيافها الثقافية والاجتماعية والسلوكية والقِيَمية التي تؤثر بشكل واضح في اتجاهات المجتمع وتغير سلوكاته بما يتلاءم مع طبيعة العولمة، وكان من بين تلك التأثيرات السلبية المجتمعية توهين وإضعاف التواصل الاجتماعي وتفتيت قيم السلوك المجتمعي.

وقد أكد عدد كبير من الباحثين في مجال العولمة والعولمة الاجتماعية، أنها شقت الصفّ الاجتماعي والمعادلة الاجتماعية القيمية والسلوكية في عدد من المجتمعات التي غزتها ظاهرة العولمة[١٢٠] هذه بصورة أو بأخرى. يقول الرواشدة: "ومن آثار العولمة في الجانب الاجتماعي، زيادة معدلات الفقر والبطالة، وتوهين العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، وقضاؤها على الطبقة الوسطى التي هي الأصل في إحداث الاستقرار الاجتماعي، وإضعاف المؤسسات التي تقدّم الدعم الاجتماعي للفقراء، كما أسهمت في تفتيت القيم والعادات السائدة منذ زمن بعيد"[١٢١]. ويقول الحاج في تأكيد هذا النوع من التحدّي الاجتماعي الذي تفرضه العولمة الاجتماعية: "يمكن رصد مظاهر العولمة الاجتماعية في البلاد العربية على النحو الآتي: تفكيك البُنى الاجتماعية التقليدية للمجتمعات العربية، وإعادة تشكيلها على أساس ارتباطها بالنظام الرأسمالي المعولم. وانتشار القيم وأنماط العلاقات والسلوكات الاجتماعية الغربية، ويتبدّى ذلك في مظاهر عديدة منها: الملبس والمأكل وغيره، وتراجع قيم ومعايير السلوك الاجتماعي، وتفكك العلاقات الأسرية والعشائرية، وبروز مظاهر الاستقلال الذاتي والفردية والانعزالية"[١٢٢]. ويشير الحاج كذلك إلى استخدام العولمة الاجتماعية لفرض هذا اللون من التحدّي أدواتها من مثل أداة الإعلام، فيقول: "نقل الإعلام والمعلوماتية المجتمعات المحليّة والبيئات الداخلية إلى النطاق العالمي، حيث فكك الإعلام والمعلوماتية العلاقات الاجتماعية، وأعاد تشكيل البناء الاجتماعي"[١٢٣]. وأما عمارة فيبين أن أداة أخرى استخدمتها العولمة الاجتماعية في هذا المجال وهي أداة المؤتمرات السكانية الدولية التي سعت في أهدافها الحقيقية، وكما تضمنتها وثائقها "لعولمة التحلل والتفكك الأسري الذي نخر وينخر في عظام المجتمعات الغربية التي عزفت عن الزواج واستبدلته بالرفقة"[١٢٤]. وأدت كذلك إلى شيوع الأنانية في داخل الأسرة الواحدة[١٢٥]. والاختيار الشخصي والاستقلالي الذاتي[١٢٦]، وذلك على حساب القيم الجماعية والكلية الحاكمة للأسرة وبالتالي للمجتمع المسلم.

فالعولمة بمختلف أقنعتها، وإن كانت يَسّرت عمليات الاتصال، "وأفسحت المجال لاستثمار الموارد الطبيعية، وعمليات التبادل التجاري من خلال الفضائيات والتقنيات الإعلامية والمعلوماتية، فإنها قد يسرت استغلال وسيطرة السلوك الفردي والمقنن، الذي يحول دون ترابط الناس وتوادّهم وتعاطفهم، كما تدهورت القيم الأخلاقية بدرجة كبيرة"[١٢٧]. وينقل بعض الباحثين "اتفاق آراء علماء الاجتماع حول الآثار السلبية للفضائيات على الإحساس بالجماعة والمودّة بين أفرادها، فالقنوات التلفزيونية المتنوعة جعلتنا نلتصق ببيوتنا، فأصبحت المجتمعات أقلّ حميميّة، وأكثر عزلة، فاختفت جلسات الأصدقاء، واجتماعات العائلة، والكثير من المظاهر الاجتماعية التي كانت تشيع في المجتمع الدفء والتواصل"[١٢٨]. ويمكن إرجاع "حمْل" العولمة الاجتماعية لهذه

الاتجاهات المدمّرة لقيم التواصل الاجتماعي إلى مرجعيتها الفكرية الأصيلة والمتمثلة بالرأسمالية المشبعة بقيم الفردية[١٢٩] والذاتية والأنانية، التي بالتأكيد كلما زاد انتشارها في المجتمع كلما طردت قيم التواصل والسلوك الجماعي والأخلاق المجتمعية.

٢- دور التعليم المستمر في مواجهته

وأمام هذا التحدّي الاجتماعي الذي لا يمكن غض الطرف عنه لكونه يحدث تفكيكاً لقيم أسرية ومجتمعية رئيسة، وقطيعة لأواصر اجتماعية كبيرة، تبرز الحاجة إلى التربية المستمرة، وتتأكد المسؤولية الملقاة على عاتق حلقات التعليم المستمر ومكوناته وأدواره الاجتماعية، لمواجهة مثل هذا التحدّي، والتعامل معه، وتجاوز مخاطره، ومحو آثاره، وتثبيت القيم الاجتماعية الأصلية التي تحفظ للمجتمع أواصره وللأسرة حبال مودتها. ويمكن للتربية المستمرة، وللتعليم المستمر، أن يحقق ذلك في إطار المنظور التربوي الإسلامي وفقاً للأمور والتوجهات والإجراءات الآتية:

- المجتمع في التصور الإسلامي في حالة من التغير المستمر في هيكله وتركيبه وأساليب الحياة فيه، وهذا التغير يتم بتأثير عوامل داخلية وخارجية، وأن التغير ليكون صالحاً مرغوباً لا بد أن يتم في إطار العقيدة والدين والأخلاق، وأن يسبقه تخطيط واع ويصحبه توجيه سليم، ولا تنفصم فيه الصلة بين حاضر المجتمع والأمة وبين ماضيهما[١٣٠]، ولا يفقد المجتمع ثوابته ومبادئه الأصيلة، ويتطلب متابعة هذا التغيير الذي يصاحب المجتمع حضور التربية المستمرة على الدوام في وظائف المجتمع فهي ضرورة في مثل هذه الحالات، وذلك لأن "من السمات التي تسبغ الأهمية القصوى على التربية المستمرة: التغير السريع والمستمر في مختلف مظاهر الحياة، وخاصة في ميادين العلوم والتكنولوجيا، وما يصاحبها من تغيرات اقتصادية واجتماعية، وتغيرات في القيم الثقافية التي تحكم العلاقات الاجتماعية بين البشر. والتغير في الوقت الحاضر يحدث بشكل أسرع، ويتطلب هذا أن يجري الفرد خلال سني حياته تكيّفات جديدة. ومن المعلوم أن التكيف الجديد يتطلب تعليماً جديداً"[١٣١]. وبما أن التغير السريع في المجتمع الذي تفرضه العولمة الاجتماعية "يهدد الأبنية الاجتماعية التي يتفاعل ضمنها الأفراد بالتفكك والزوال سواء كان ذلك في ميادين العائلة أو العمل أو الجماعات الصغيرة"[١٣٢]، فإنّ ذلك يتطلب مواكبة حثيثة من التربية المستمرة ومعالجة فاحصة لأي خلل يلحق هذه الأبنية المجتمعية ويفصم عُرى التواصل الاجتماعي فيها، بحيث تسمح للمجتمع بالتطور الإيجابي، دون أن يفقد أخلاقيات الجماعة وقيم العلاقات الاجتماعية التي جاء بها الدين الحنيف.

- التعليم المستمر المنبثق من المنظور التربوي الإسلامي يعمل- في سبيل مواجهة هذا التحدّي الاجتماعي- على تنمية روح العمل الجماعي[١٣٣]، وإشاعة روح التعاون الشعبي[١٣٤]، وتشجيع العمل في ميدان خدمة المجتمع[١٣٥] والخدمات الإنسانية التطوعية وغير التطوعية. لأنّ كلّ هذه التوجهات والفعاليات تدعم بشكل مباشر صمود قيم التواصل الاجتماعي، وتُوطّن السلوك الجماعي أمام زحف العولمة الاجتماعية والاقتصادية التي تعمل شفراتها على مسح تلك القيم وإنهاكها وتقديم بديل الفردية والذاتية والأنانية التي تطفح بها سفن وفضاءات الرأسمالية، المصدر الوحيد للعولمة. ومن هنا حرص المنهج النبوي على تعليم أبناء المجتمع المسلم منذ نواته الأولى قيم المشاركة الجماعية في مختلف ميادين الحياة العامة، ابتداء من بناء المسجد إلى حفر الخندق وجمع أموال الصدقات، لأن هذه سلوكات جماعية تحمل قيماً اجتماعية تحقق التواصل بين أبناء المجتمع وتولّد الإحساس والمشاعر الصادقة بين فئاته.

- للتعليم المستمر بأساليبه المنفتحة وميادينه النشطة والمتجددة دور أساسي في صدّ موجات العولمة الاجتماعية التي تعمل على إضعاف البنية الاجتماعية، وفي تقويتها وتدعيمها، وذلك من خلال تركيزه على تنمية "المهارات الاجتماعية التي يمكن للمتعلم أن يمتلكها من خلال دراسته للتربية الإسلامية، ومن هذه المهارات: كسب الأصدقاء، والتأثير في الآخرين، والتفاهم والتعاون معهم، وحلّ المشكلات الاجتماعية، والقدرة على التخطيط الجماعي، والقدرة على التحدث إلى الجماعة، والقدرة على الاستماع إلى الآخرين، والقدرة على مشاركة الآخرين في آرائهم"[١٣٦]. وتعدّ مهارة التكافل الاجتماعي من أهم المهارات الاجتماعية التي يجب أن يحرص عليها التعليم المستمر، لأنها ستؤدي إلى تلاحم المجتمع وتماسكه، وتعاونه على الخير ورحمته للفئات الفقيرة والضعيفة[١٣٧]، إذا ما تمّ تعليمها جيداً وتفعليها على أرض الواقع. وهذا يعني في النهاية المحافظة على قيم الجماعة وإبقاء التواصل الاجتماعي حيّا ينبض بالمعروف والإحسان والمودة، وفي ذلك ممانعة كبرى لاختراق العولمة الاجتماعية لجدران القيم المجتمعية للمجتمع وللوطن وللأمة.

- يُمَكِّن التزامُ التعليم المستمر بمحتوى التربية الإسلامية من المحافظة الأكيدة على قيم التواصل الاجتماعي، وإدامتها وتجسيدها في روح البلد والمجتمع المسلم. ذلك أن المحتوى التعليمي للتربية الإسلامية في جانبه المتعلق بالعبادات والمعاملات يضفي عليه الطابع الجماعي، فكلّ الآداب

والأخلاق والتشريعات التي جاءت في القرآن الكريم ذات صبغة جماعية واضحة، وعلى سبيل المثال، فالصلاة هي إحدى الوسائل التي يجسد بها المسلم قيمة العبودية لله عز وجل، يرغب الإسلام في إقامتها مع الجماعة، ويرفع درجاتها إلى سبع وعشرين درجة، تأكيداً لروابط المسلمين وتعزيزاً للتعارف فيما بينهم، والزكاة عبادة جماعية لا يخفى دورها في دعم بُنْيان المجتمع الاجتماعي والاقتصادي، من خلال ما تزود به بيت مال المسلمين، ومن خلال معاني المحبة والتكافل التي تشيعها بين الأغنياء والفقراء، وقس على ذلك بقية الفرائض"(١٣٨) والآداب والأخلاق وسائر التشريعات. ومن هنا- يجب أن تحرص جميع مراكز التعليم المستمر وأدواته التقليدية والمعاصرة على إشاعة مفاهيم الدين الإسلامي وأخلاقياته التي تسهم في استمرارية التواصل والودّ والمحبة في الأسرة وبين أبناء المجتمع والوطن والأمة المسلمة. وهذا كله يدخل في إطار الأهداف الاجتماعية للتعليم المستمر.

التحدي الثالث: إشاعة النزعة المادية وإطفاء الجذْوة الرّوحية

١- صورة التحدّي وأبعاده

يقول "باول ساموسلون"- الاقتصادي الأمريكي الحائز على جائزة نوبل لعام ٢٠٠٥م: "إن العالم العولمي ليس للانبساط وراحة البال. حقا صار في وسع المواطن أن يشتري من الأسواق الحديثة، سلعاً إلكترونية رائعة وزهيدة الثمن، وهذا أمر جيد ومستحسن طبعاً، غير أن الواجب يقتضي منا أن نقول لهذا المواطن في صريح العبارة: إن حياتك مثقلة بالهموم"(١٣٩). إن هذا الكلام يعبّر عن أحد أدوار العولمة من جهة وعن مآلات وآثار هذا الدور من جهة أخرى، أي أنه يشير إلى كون العولمة بكل صورها وأنماطها قد قدمت للمجتمعات نفعاً مادياً رهيباً وصل إلى حد الخيال، وهذا دور أساسي لها، ولكن كانت مآلاته النفسية والروحية شديدة الوقع على الشخصية الإنسانية حيث أوهنتها في هذا الجانب وأثقلتها بالهموم والاختناق العاطفي.

وهذا هو التحدّي القاسي الذي تفرضه العولمة بكل أطيافها ومنها الاجتماعية، على مجتمعاتنا العربية والإسلامية بشكل خاص: إنه تحدّي تَغَلْغُل النزعة المادية في حياة الناس على حساب الجذوة الإيمانية والروحية، فمن تأثيرات "العولمة في الجانب الاجتماعي، أنها تركز على حرية الإنسان الفردية إلى أن تصل للمدى الذي يتحرر فيه من كل قيود الأخلاق والدين والأعراف المرعية، وفي النهاية يصبح الإنسان أسيراً لكل ما يعرض عليه من الشركات العالمية الكبرى. إن ثقافة العولمة ثقافة مادية بحتة، لا مجال فيها للروحانيات أو العواطف النبيلة أو المشاعر الإنسانية فهي تشكل عالماً يجعل من الشحّ فضيلة، ويشجع على الجشع، والوصول إلى الأهداف بأي وسيلة"(١٤٠). فالعولمة تدفع باتجاه التركيز على عالم الأشياء المادية متجاوزة عالم الروح والوجدان والعاطفة. "ويتم التركيز على الرؤية المادية من خلال الدور الذي تلعبه الأفلام والمسلسلات بوصفها إحدى الأيديولوجيات للعولمة الثقافية، وتبدو الرؤية متجذرة في عمق صور ناطحات السحاب، والملابس الثمينة، والسيارات الفاخرة، ومشاهد الترف، وتمجيد السلطة"(١٤١)، وتقديس النجومية والشهرة، وتعبيد الناس للأسواق، وفتنة الشهوات وغير ذلك من نزعات العولمة المادية، التي تستخدم من أجل زرعها في المجتمعات مختلف وسائل التكنولوجيا والمعرفة والاتصالات، ومختلف سلطاتها الاقتصادية والسياسية الظاهرة منها والخفية.

وثمة أمور لا بد من الوعي بها عند الحديث عن النزعة المادية التي تحملها العولمة لتلقي بأثقالها في أوساط المجتمعات العربية والإسلامية، منها: أن هذه النزعة المادية للعولمة الاجتماعية وغيرها منبثقة من رحم الرأسمالية التي أنتجت العولمة وصدرتها. وهذه الرأسمالية تحمل قيم الفردية والمادية والنفعية، وتعدّ المنفعة المادية هي أساس الحياة وعلامة الحقيقة. كما ينبغي أيضاً التنبه إلى أن مختلف أنماط الاستهلاك والاستمتاع المادي الذي تطرحه العولمة ليشبع حاجة البطن والفرج ليست مجرد مادة وأنها تنتهي عند استخدامها، بل إنها تحمل قِيماً واتجاهات تؤثر في وعي من يتعاطاها وفي نفسيته واتجاهاته وميوله. أي أنها ذات تأثير خفي وقوي في مكونات الشخصية الإنسانية، وهنا يكمن خطرها الحقيقي.

٢- دور التعليم المستمر في مواجهته

وحتى يستطيع التعليم المستمر مواجهة هذا التحدّي للعولمة الذي يضرب حالة التوازن في الشخصية المسلمة وتوجهات أبناء المجتمع وقيمهم حيث يجنحون بقوة باتجاه المادية: نزعةً وقيمةً ومسلكاً، بل ومعياراً للأشياء والأفكار على حساب الجوانب الروحية والعاطفية والإيمانية في نفوسهم وحياتهم ومعيشتهم، لا بدّ من أن يتخذ من الآية الكريمة: (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) (القصص، ٧٧)، والتي قال السعدي في تفسيرها: "(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة)، أي: قد حصل عندك من وسائل الآخرة ما ليس عند غيرك من الأموال، فابتغ بها ما عند الله، وتصدق، ولا تقتصر على نيل الشهوات، وتحصيل الملذات، (ولا تنس نصيبك من الدنيا)، أي: لا نأمرك أن تتصدق بجميع مالك

وتبقى ضائعاً، بل أنفق لآخرتك، واستمتع بدنياك استمتاعاً لا يثلم دينك، ولا يضر بآخرتك"[١٤٢]. وينبغي أن تتخذ هذه الآية من قبل القائمين على التعليم المستمر –أفرادا ومؤسسات: فلسفة للتعليم المستمر وأهدافاً لمنهاجه التربوي والتعليمي ومنطلقاً لتوجيهاته وتوجهاته، لأن هذه الآية الكريمة، تشكل حالة التوازن التي يقررها المنهج الرباني للبشرية جمعاء: أفراداً ومجتمعات.

والتعليم المستمر المنطلق من المنظور التربوي الإسلامي، لا بدّ أن يعمل بكل مجهوداته وآلياته ومراكزه المتنوعة على تحقيق قاعدة التوازن في بنية الشخصية المسلمة نفسياً واجتماعياً ومادياً وروحياً، فيتم توجيهه إلى الانتفاع من خيرات الدنيا والاستمتاع بنعيمها، والإفادة من تسهيلاتها جنباً إلى جنب مع الحرص على أمرين: أولهما: مراعاة الآداب الإسلامية والضوابط الشرعية عند التوجه نحو المجال المادّي. فيحافظ على أخلاقيات المجتمع المسلم وآدابه، ويراعي حرمات الآخرين عند أخذه من خطة الدنيوي واستمتاعه بالشق المادّي فيها مع الانضباط بقيم الحلال والحرام والاعتدال وعدم الإسراف، وثاني هذين الأمرين: الازدياد من التعلم الديني والاغتراف من الوعاء الإيماني والاصطباغ من الركن الروحي والعاطفي، والامتلاء النفسي والعقلي من الجانب الغيبي والأخروي، وأن يكون ذلك على جرعات وباستمرار طيلة حياته، وحيثما كان دون توقف، لأن هذه هي سفينة النجاة من وَحْل العولمة المادية التي تسعى لإنتاج شخصيات ومجتمعات عرجاء، منتفخة الجسم، ذابلة القلب والروح، ولا شك أن هذه المهمة المستديمة والدقيقة والمتزنة هي من مهام التعليم المستمر المنبثق من المنظور التربوي الإسلامي.

ثالثاً: إمكانات التعليم المستمر والمنحنى التكاملي في التعامل مع تحدّيات العولمة الاجتماعية

يقصد الباحث من وراء عنوان هذا المحور، تقديم الممكن من المعالجات والتوجيهات المتصلة بفكرة التعليم المستمر في إطار المنظور التربوي الإسلامي لمواجهة تحدّيات العولمة الاجتماعية على العموم، دون التركيز على تحدّ معين كما في المحور الذي سبق لتكتمل الصورة وتكون أكثر شمولية. ويمكن بيان ذلك من خلال النقاط الآتية:

– يحقق التعليم المستمر دوره المنوط به في مواجهة تحدّيات العولمة الاجتماعية التي تؤثر سلبا في الحياة الاجتماعية بشكل أكثر فاعلية حينما يتكامل دوره مع أدوار ومهام باقي أنظمة المجتمع ومؤسساته ومكوناته العلمية منها والسياسية والثقافية والاقتصادية والصحية والعسكرية والأمنية وغيرها، لا أن يقف نظام التعليم وحده في الساحة الاجتماعية مع كاسحات العولمة وأدواتها الحادّة.

– يعتمد المجتمع في مواجهة التحدّيات الاجتماعية للعولمة منهجية مقابلة الشيء بجنسه وبمثل أدواته، فالعولمة الاجتماعية وغيرها تتخذ "من التربية والتعليم أداة من أدواتها في الهيمنة والاقتصاد الذي تمارسه"[١٤٣]. ولذلك حرصت حكومات الدول المصدرة للعولمة على الاهتمام بتدريب العمال من جميع المستويات على موضوعات العلوم والرياضيات والحاسوب واستعمال التكنولوجيا، وعملت على أن تتوازى المشكلات الاقتصادية الناجمة عن عولمة السوق مع الحلول التربوية المناسبة لمعالجة هذه المشكلات، ومن هنا دعت الحكومة الأمريكية المؤسسات التعليمية الجديدة إلى تعليم الحاسوب في برامجها التدريبية، ووفرت الحكومة البريطانية شبكة تعليم وطنية، يتعلم المواطنون من خلالها استعمال التكنولوجيا الحديثة لتؤهلهم للوظائف الجديدة[١٤٤]. وهذا يفرض على المجتمعات العربية والإسلامية اتخاذ التعليم المستمر المتطور استراتيجية وطنية في مناحي الحياة كافة ومرافق التعليم، لأن التعليم المستمر مفتوح زماناً ومكاناً وفئات، ويتسم بقدر كافٍ من المرونة في أساليبه ووسائله، وهي الكفيلة للتماشي مع تغيرات العولمة وأطيافها المتلونة التي تكتسح المجتمعات دون أن تعرف حدوداً زمنية أو جغرافية.

– تنمية توجهات المجتمع نحو التعليم المستمر، وذلك بإثارة مختلف الدوافع الدينية والاجتماعية والنفسية والمادية؛ من الترغيب بالأجر والآخرة والقربة إلى الله تعالى، إلى تحقيق احترام الذات والثقة بالنفس، إلى تحصيل المصالح المادية، وغيرها من المعززات والدوافع التي من شأنها أن تحوّل السكون في أوصال المجتمع إلى حياة وحركة نشطة عند كل الفئات وشرائح المجتمع حيال التعليم المستمر، بحيث يصبح ظاهرة اجتماعية وثقافة إنسانية، يحياها ويتبناها الجميع دون استحياء أو استكبار على الاستمرارية في التعلم مهما اختلف العمر أو تنوعت الوظائف والمهن، وهذا التوجه الاجتماعي نحو التعليم المستمر كفيل بأن يحقق مناعة اجتماعية ضدّ كل المظاهر السلبية للعولمة الاجتماعية التي تغزو المجتمع؛ بسبب تلك الجرعات التربوية والتنموية والعلمية التي يتلقاها أفراد المجتمع على الدوام من مختلف وسائل وقنوات التعليم المستمر.

– توصف العولمة وثورات الاتصال والمعرفة والتكنولوجيا والفضائيات– وكلها تؤثر في مجتمعاتنا– بأنها سريعة التطور، وتحمل دائما الجديد، وتقدم اليوم ما لم يكن بالأمس على مختلف الأصعدة: المادية منها والمعرفية، وهذا يفرض على مناهج التعليم المستمر أن تتسم بقدر كبير من المرونة والمعاصرة التي تسمح لها بتطوير محتوياتها وتجديد أهدافها

وتنويع وسائلها وأساليبها بما يناسب التغيرات الحادثة في المجتمع وعلى مستوى العالم، مع المحافظة على أصالتها وقيمها وثوابتها الأساسية التي تمثل هوية المجتمع ومعتقداته وأخلاقياته، وبهذه المعادلة يتمكّن التعليم المستمر من أداء دوره فيما يتعلق بمواجهة تحدّيات العولمة الاجتماعية وما تحمله من أطياف جديدة ترمي بها على ظهور أبناء المجتمع وفي ساحته المختلفة، وهذا أيضاً ما يمكّن القائمين على تفعيل برامج التعليم المستمر من تبصير أفراد المجتمع بمستجدات العصر وما تحمله من قيم إيجابية أو سلبية، وهو ما سيقود في النهاية إلى المحافظة على بُنية الشخصية المسلمة من الخلل، وعلى كينونة المجتمع المسلم من التفتت والذوبان.

الخاتمة: توصلت الدراسة إلى ما يأتي:

- يتسم مبدأ التعليم المستمر بالأصالة والمعاصرة. فهو مبدأ له تاريخه في حضارتنا الإسلامية، وله حضوره المتجدد في واقعنا المعاصر.
- يمتلك التعليم المستمر خصائص وطبيعة تعطيه إمكانات منفتحة وكبيرة، وتجعل منه عملية تربوية وتعليمية هادفة، تساعد المجتمع بشكل قوّي في النهوض والارتقاء ومواجهة التحدّيات.
- تهتم المجتمعات المتحضّرة التي تسعى للتقدّم بتفعيل مبدأ التعليم المستمر وتطوير آلياته وتوسيع أدواره، ليكون له دور مركزي في دفع عجلة الازدهار والتطور.
- تقدم التربية الإسلامية رؤية أصيلة لمعطيات الشرع والتراث والحضارة في التعليم المستمر، وتؤكد على دوره الفعّال في المجتمع والحضارة.
- تعاني المجتمعات العربية والإسلامية من تحدّيات مختلفة فرضتها العولمة وثورة المعرفة والتكنولوجيا والاتصالات– مع ما تحمله من إيجابيات– تحتم على تلك المجتمعات الوقفة التربوية والعلمية الواعية للتعامل مع هذه التحدّيات.
- يشكل التعليم المستمر المرتبط بواقع المجتمع والمؤطّر بالمنظور التربوي الإسلامي أداة فعالة في مواجهة تحدّيات العولمة الاجتماعية، وبخاصة تلك التي تؤثر في قيم التواصل الاجتماعي والانتماء والتوجهات الروحية.
- يؤدي التعليم المستمر دورة بشكل أقوى في مواجهة تحدّيات العولمة الاجتماعية كلما تكامل دوره مع باقي مؤسسات الدولة والمجتمع.
- يشكل التعليم المستمر حافظة للأمن الفكري والثقافي للوطن وللدولة وللمجتمع.

وتوصي الدراسة في ظل ما توصلت إليه بأن يُعطى للتعليم المستمر من قبل الدولة ومؤسسات المجتمع مزيدٌ من الاهتمام الفعلي والدعم المادّي والمعنوي ليقوم بدوره الاجتماعي المنوط به على أحسن وجه. وأن تجري في كل مجتمع دراسات ميدانية عن أثر التعليم المستمر على الفئات المستهدفة في حفظ منظومة القيم الاجتماعية وثوابت الأمة في ظل الطوفان الإعلامي والتكنولوجي والمعرفي الذي لا يعرف حدوداً زمانية ولا مكانية. وتدعو الدراسة مؤسسات الأوقاف والدعوة والإرشاد إلى الإفادة من مبدأ التعليم المستمر وتقنياته المتجددة في توسيع دور الدعاة ليصبح عندنا ما يمكن أن نسميه أيضا بـ "الدعوة المستمرة"، وذلك لما لها من دور شديد التأثير على مختلف شرائح المجتمع.

الهوامش

(١) فلية، وأحمد زكي، معجم مصطلحات التربية، ص١١٨.

(٢) الشاعر، واقع التعليم المستمر في جامعة الملك سعود، مجلة التعاون، العدد ٤٥، ص٨٥.

(٣) المرجع السابق نفسه.

(٤) جبر، التعليم المستمر: وجهة نظر جديدة، مجلة التعريب، العدد ١٦، ص١٠٥.

(٥) عليمات، التعليم المستمر في الأردن: واقع وتطلعات، مجلة الباحث، العدد ٥٧، ص١٤٦.

(٦) الخطيب، التربية المستمرة: سياستها، برامجها وأساليب تنفيذها، المجلة العربية للتربية، العدد٢، ص١٣٩.

(٧) بركات، مفاهيم التعليم المستمر وأساليبه (نموذج من أروبا الغربية)، ندوة التعليم المستمر والتنمية، ص٣٩–٤٠.

(٨) جبر، التعليم المستمر: وجهة نظر جديدة، ص١١٢، ويوسف، التعليم المستمر: مفهومه وأنماطه، صحيفة التربية، العدد ٢، ص ١٨–١٩.

(٩) حميدي، حاجة التعليم العالي في البلدان العربية للأخذ بسياسة التعليم المستمر، مجلة اتحاد الجامعات العربية، العدد٢، ص٤٥٧–٤٥٨.

(١٠) بركات، مفاهيم التعليم المستمر وأساليبه، ص٤٠.

(١١) المرجع السابق، ص٤٠–٤٢، وجبر، التعليم المستمر: وجهة نظر جديدة، ص١٠٦.

(١٢) الخطيب، التربية المستمرة، ص١٤٢–١٤٤.

(١٣) إيدجار، وآخرون، تعلم لتكون، ط٢، ص٢٤٦–٢٤٧.

(١٤) الكيلاني، التربية والعولمة، ص٥.

(١٥) الكيلاني، التربية والعولمة، ص٥-٦.
(١٦) صالح، العالم الإسلامي وتحديات العولمة، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، العدد٢٠، ٢٠٠١م، ص٢٠٩.
(١٧) حجازي، العولمة والتنشئة والمستقبلية، مجلة العلوم الإنسانية، العدد٢، ص١.
(١٨) محمد، العولمة والتربية: آفاق مستقبلية، كتاب الأمة، العدد١٤٥، ص٣٨.
(١٩) الدلال، الإسلام والعولمة، مجلة البيان، لندن، ط١، ص٤٧.
(٢٠) محمد، العولمة والتربية، ص٣٨.
(٢١) الكيلاني، التربية والعولمة، ص٦.
(٢٢) المرجع السابق، ص٧، ولمزيد من تعريفات المعارضين للعولمة.
(٢٣) محمد، العولمة والتربية، ص٤٠.
(٢٤) المرجع السابق، ص٤٤.
(٢٥) للتوسع حول أشكال العولمة أو مجالاتها أو أنماطها، ينظر: راغب، أقنعة العولمة السبعة، ص٧٣-٤٢٠.
(٢٦) صالح، العالم الإسلامي وتحديات العولمة، ص ٢١٨.
(٢٧) الرواشدة، العولمة والمجتمع، ص٧٤.
(٢٨) محمد، العولمة والتربية، ص١١٦.
(٢٩) المرجع السابق نفسه.
(٣٠) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ط١، ج١٨، ص٣٨٢.
(٣١) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (د ط)، ج٤، ص٣٨٧.
(٣٢) الزحيلي، التفسير الوسيط، ط١.
(٣٣) الترمذي، السنن (بأحكام الألباني)، كتاب الدعوات، باب في العفو والعافية، ح رقم (٣٥٩٩). وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وقال الألباني: صحيح.
(٣٤) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط٢، ص٣٢٤.
(٣٥) المرجع السابق نفسه.
(٣٦) ابن ماجة، السنن (بأحكام الألباني)، بيروت (د.ط)، أبواب السنة، باب فضل العلماء والحث عليه، ح رقم (٢٢٤)، وقال الألباني: حديث صحيح.
(٣٧) السيوطي، شرح سنن ابن ماجة، ج١، ص٢٠.
(٣٨) القاري، شرح مسند أبي حنيفة، (د.ط)، ج١، ص٧٦.
(٣٩) ابن عبد البر، مختصر جامع بيان العلم وفضله، ط١، ص٢٣.
(٤٠) البخاري، الصحيح، ط١، ١٤٠٧هـ، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ح رقم (٣٢٠٢).
(٤١) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٦، ص٤٩٨.
(٤٢) المباركفوري، تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، (د ط)، جـ٦، ص٤٦٨.
(٤٣) البخاري، الصحيح، كتاب العلم، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب، ح رقم (١٠٢).
(٤٤) المرجع السابق نفسه، ج١، ص١٨٣.
(٤٥) أبو داود، السنن (بأحكام الألباني)، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، ح رقم (٣٦٦٢)، وقال الألباني: حديث صحيح.
(٤٦) ابن قيم الجوزية، مفتاح ط١، ص١٠٢-١٠٣.
(٤٧) البخاري، الصحيح، كتاب العلم، باب هل يجعل للنساء يوم على حده في العلم، ح رقم (١٠١).
(٤٨) المرجع السابق، باب تحريض النبي صلى الله عليه وسلم، وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم، ح رقم (٨٧).
(٤٩) للوقوف على تفاصيل الروايات يراجع كتاب العلم في الصحيحين والسنن.
(٥٠) البخاري، الصحيح، كتاب العلم، باب تعليم الرجل أهله وأمته، ح رقم (٩٥).
(٥١) أبو داود، السنن، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، رقم (٣٦٤٣)، وقال الألباني: حديث صحيح.
(٥٢) ابن حجر، فتح الباري، ج١، ص٢١٧.
(٥٣) المناويفيض القدير شرح الجامع الصغير، ص٦.
(٥٤) يرجع في ذلك إلى كتب العلم والأدب في الصحيحين والسنن وإلى كتب أساليب تدريس التربية الإسلامية. فليس هنا محل ذكرها، وإنما إشارة عامة كشاهد على الفكرة.
(٥٥) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلاً مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ « أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ ». فَقَالُوا مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَىْءٍ وَمَا نَصْنَعُ بِهِ قَالَ « أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ ». قَالُوا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ لأَنَّهُ أَسَكُّ فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ فَقَالَ « فَوَاللَّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ ». صحيح مسلم، باب، حدثنا قتيبة، ح رقم(٧٦٠٧).
(٥٦) البخاري، الصحيح، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم وقوله تعالى (وقل ربّ زدني علما)، ح رقم (٦٣).
(٥٧) ابن حجر، فتح الباري، ج١، ص٢٢٣.
(٥٨) هناك مؤلفات متخصصة بحثت مبدأ تعليم الكبار في الإسلام وبينت تطبيقاته في الواقع الحضاري للمسلمين من ذلك: جبريل، الجيلاني بشير، تعليم الكبار في ظل الحضارة الإسلامية، ومدكور، تعليم الكبار والتعليم المستمر، ط١، فليرجع إليها للمزيد من التفصيل حول هذا المبدأ.
(٥٩) البخاري، الصحيح، كتاب العلم، باب التناوب في العلم، ح رقم (٨٩).
(٦٠) ابن عبد البر، مختصر جامع بيان العلم وفضله، ص١٢٤.
(٦١) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، ص٨٨.
(٦٢) ابن حجر، فتح الباري، ج١، ٢٣٥.
(٦٣) ابن عبد البر، مختصر جامع بيان العلم وفضله، ص٨٦.
(٦٤) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، ص١٠٦.

(٦٥) المرجع السابق نفسه.
(٦٦) المرجع السابق نفسه.
(٦٧) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ط٣، ص٢٨، وابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، ص١٠٦، وجبريل، تعليم الكبار في ظل الحضارة الإسلامية، ص١٠٤.
(٦٨) جبريل، تعليم الكبار في ظل الحضارة الإسلامية، ص١٠٣.
(٦٩) المرجع السابق، ص١٠١.
(٧٠) المرجع السابق، ص١٠٣.
(٧١) الطبراني، المعجم الكبير، ح رقم (١٠٢٣٥)، وقال الحاكم في مستدركه: حديث صحيح على شرط الشيخين، صححه الألباني في الجامع الصغير، ح رقم (١١٥٧٠).
(٧٢) المباركفوري، مراعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، جـ١، ص٣٥٠.
(٧٣) العمايرة، الفكر التربوي الإسلامي، ط١، ص١٤٣-٥٥١.
(٧٤) النقيب، وجمال الهنيدي، قراءات في التربية الإسلامية، ط١، ص٢٣٢.
(٧٥) المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، التربية الإسلامية: المؤسسات والممارسات، جـ١، ص٨٠-٨٣.
(٧٦) عبود، عبد الغني، في التربية الإسلامية (١)، ط٣، ص١٧٣.
(٧٧) الهنيدي، تربية علماء الطبيعيات والكونيات المسلمين، ص٢٥٣-٣٥٧.
(٧٨) ينظر: محجوب، التربية والتعليم في كتب التراث، ط١، ص٤٧-٢٠٩.
(٧٩) ينظر: رحائم، الحضارة الإسلامية: جذور وامتدادات، كتاب الأمة، العدد ١٣١، ص٣٧، والأسمر، أحمد رجب، فلسفة التربية في الإسلام، ط١، ص٤٥، ١٤١، ١٨٣-٢٠٧. والكيلاني، ماجد عرسان، فلسفة التربية الإسلامية، ط١، ص٢٦٧-٣٢٢. والشطناوي، تكافؤ الفرص في التربية الإسلامية، ص٢٦٧-٣٢٢.
(٨٠) البغوي، معالم التنزيل، جـ٤، ص٣٩٧.
(٨١) الفتلاوي، العولمة وآثارها في الوطن العربي، ط١، ص٢٣٧.
(٨٢) يراجع مفهوم العولمة وأنماطها في المبحث الأول من هذه الدراسة.
(٨٣) محمد، العولمة والتربية: آفاق مستقبلية، كتاب الأمة، العدد ١٤٥، ص٢٩-٣٠.
(٨٤) المرجع السابق، ص٣١.
(٨٥) الرشدان، دور التربية في مواجهة تحديات العولمة في الوطن العربي، مجلة شؤون عربية، العدد١١٥، ص٩١-٩٢.
(٨٦) استيتيّة، أثر متغيرات الخبرة التعليمية والجنس والحالة الاجتماعية والمستوى التعليمي وقطاع العمل على مستوى الدافعية نحو التعليم المستمر لدى طلبة كلية العلوم التربوية في الجامعة الأردنية، مجلة دراسات العلوم الإنسانية، الجامعة الأردنية، المجلد (٢)، العدد ٣، ص٢٠٩.
(٨٧) خضور، العولمة وانعكاساتها على القيم الاجتماعية في الوطن العربي، مجلة جامعة البعث، العدد١٠، ص٢٦٨-٢٧١.
(٨٨) المرجع السابق، ص٢٧٩.
(٨٩) يؤكد الباحث أن للعولمة بمختلف أنماطها وأدواتها وقنواتها تأثيرات إيجابية وأخرى سلبية، وأنها لها فوائد وفيها تحديات، وأن ما يعني هذه الدراسة جانب التحديات أو التأثيرات السلبية المرتبطة بالعولمة وأدواتها، والتي كان لعالمنا العربي والإسلامي الحظ الأوفر منها، رغم أنه حاول وما زال أن يستفيد أكثر من معطيات العولمة وثورات التكنولوجيا والمعرفة والمصاحبات لها، إلا أنه لم يصل إلى المستوى المطلوب بعد، فما زال أمامه كثير وكثير ليفعله.
(٩٠) خضور، يوسف، العولمة وانعكاساتها على القيم الاجتماعية في الوطن العربي، ص٢٩٤.
(٩١) المرجع السابق، ص٢٩٨.
(٩٢) يراجع مفهوم العولمة والعولمة الاجتماعية وما يصل بهما في المبحث الأول.
(٩٣) مع التأكيد على وجود غيرها وأهميته كذلك، لكن الباحث اجتهد في تشخيص هذه الثلاثة والحديث عنها نظراً لأهميتها الحضارية والقيمية والسلوكية بالنسبة للمجتمع المسلم وأبنائه.
(٩٤) الهّوية اصطلاحاً: مجموع السمات والخصائص والمميزات التي تميز مجتمعاً ما عن غيره، وأمة عن أخرى. والهُوية الإسلامية هي السمات والصفات والسلوكيات التي تميز المجتمع المسلم والأمة المسلمة عن غيرهم، وتجعل لهما خصوصيتهما وتمنعهما من الذوبان في المجتمعات والأمم الأخرى. التميمي، المنهج التربوي الإسلامي في تشكيل الهوية الإسلامية، ص٢١.
(٩٥) الفتلاوي، العولمة وآثارها في الوطن العربي، ص٢٣٧، ويرجع إلى كلامه أيضاً في المرجع نفسه، ص٢٣٨-٢٣٩.
(٩٦) محمد، العولمة والتربية، ص١٠٣.
(٩٧) الدلال، الإسلام والعولمة، ص٧٠، وللوقوف على تفاصيل كلامه وأدلته ينظر في المرجع نفسه، ص٧٠-٧٥.
(٩٨) الحياري، مناهج التربية الإسلامية والعولمة، ندوة مناهج التعليم الديني في العالم الإسلامي، ص٥٠٣.
(٩٩) حتى لو تتم هذه العمليات في بلدان أو مجتمعات معينة، فإن ما يحصل أنه يتم تجاوزها أصلاً وتغطيتها بسيلان هائل من مفاهيم العولمة، بحيث تعفو على أثرها وتذهبه، وتحلّ مكانها بفرض القوة التكنولوجية والسيطرة الاقتصادية.
(١٠٠) الدويري، منهج التربية الإسلامية في مواجهة الآثار السلبية للعولمة الثقافية، ص٦٨.
(١٠١) خضور، العولمة وانعكاساتها على القيم الاجتماعية في الوطن العربي، ص٢٧٧.
(١٠٢) الدويري، منهج التربية الإسلامية في مواجهة الآثار السلبية للعولمة الثقافية، ص٦٨، وحسان، ومحمد مجاهد، التربية وقضايا المجتمع المعاصر، ص١١٥-١١٧.
(١٠٣) محمد، الحاج، العولمة والتربية، ص١٠٠-١٠٢، وحسان،

التربية وقضايا المجتمع المعاصر، ص١٢٢.
(١٠٤) الدلال، الإسلام والعولمة، ص٦٣.
(١٠٥) حجازي، العولمة والتنشئة المستقبلية، ص٣٩.
(١٠٦) آل عبد الله، مستقبل التعليم والأمن في عصر العولمة، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، العدد ٣٨، ص٢١١.
(١٠٧) حميدي، حاجة التعليم العالي في البلدان العربية للأخذ بسياسة التعليم المستمر، ص٤٤٦.
(١٠٨) آل عبد الله، مستقبل التعليم والأمن في عصر العولمة، ص٢٣١- ٢٣٢.
(١٠٩) المراعية، الفكري التربوي الإسلامي ودوره في تعزيز الأمن الاجتماعي، ص ٨٢ - ٨٣.
(١١٠) مدكور، تعليم الكبار والتعليم المستمر، ص١٧١.
(١١١) المرجع السابق، ص١٦٨.
(١١٢) حجازي، العولمة والتنشئة المستقبلية، ص٣٩.
(١١٣) الفريج، الهوية الإسلامية: حقيقتها ودور التعليم في ترسيخها، ندوة مناهج التعليم الديني في العالم الإسلامي، ص٥٣٤.
(١١٤) المرجع السابق نفسه.
(١١٥) المرجع السابق، ص٥٣٥.
(١١٦) الفتلاوي، العولمة وآثارها في الوطن العربي، ص٢٤١.
(١١٧) المرجع السابق، ص٢٤٢، ٢٦٨.
(١١٨) حجازي، العولمة والتنشئة المستقبلية، ص٤٢.
(١١٩) ينظر: الفريج، الهوية الإسلامية، ص٥٣٦.
(١٢٠) على سبيل المثال أثبتت دراسة الدعيج وزميله التي هدفت إلى تقصي أثر العولمة في القيم من وجهة نظر طلبة الجامعة الأردنية وجامعة الكويت: أن أكثر القيم تأثراً سلبياً بالعولمة: قيمة صلة الرحم والمجاملة على حساب العمل، والقرابة والتسامح، (الدعيج، وعماد السلامة، أثر العولمة في القيم من وجهة نظر طلبة الجامعة الأردنية وجامعة الكويت، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد ٣، ٢٠٠٧م، ص١٣، ٢٨-٢٩.
(١٢١) الرواشدة، العولمة والمجتمع، ص١٠١.
(١٢٢) محمد، العولمة والتربية، ص١١٧-١١٨.
(١٢٣) المرجع السابق، ص١١٩.
(١٢٤) عمارة، مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، ص٢٤.
(١٢٥) العنزي، العولمة الثقافية في ضوء العقيدة الإسلامية: عرض ونقد، ص١٠١.
(١٢٦) محمد، العولمة والتربية، ص١٢٠.
(١٢٧) خضور، العولمة وانعكاساتها على القيم الاجتماعية في الوطن العربي، ص٢٨٩.
(١٢٨) المرجع السابق، ص٢٩٠.
(١٢٩) ينظر: مسعود، القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر، كتاب الأمة، قطر، العدد ٦٧، ص١١٤-١١٦.
(١٣٠) الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، ص١٤١.
(١٣١) توق، التربية المستمرة ودور الجامعات في تطويرها، رسالة الخليج العربي، العدد ١٥، ص١٠-١١.
(١٣٢) المرجع السابق، ص١٢.
(١٣٣) الدويري، منهج التربية الإسلامية في مواجهة الآثار السلبية للعولمة الثقافية، ص٤١٧.
(١٣٤) بكار، مدخل إلى التنمية المتكاملة: رؤية إسلامية، ص٢٧٩.
(١٣٥) غزاوي، أهمية التعليم المستمر في الحفاظ على مهنة العمل الاجتماعي، المجلة التربوية، ص١٢٨.
(١٣٦) المالكي، مهارات التربية الإسلامية، كتاب الأمة، قطر، العدد١٠٦، ص١٦٨.
(١٣٧) ينظر: المرجع السابق، ص١٦٩-١٧٧.
(١٣٨) مسعود، القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر، ص١٣٤-١٣٥.
(١٣٩) شيفر، أولريش، انهيار الرأسمالية، العدد٣٧١، ص٣٣٩.
(١٤٠) الرواشدة، العولمة والمجتمع، ص٩٦-٩٧.
(١٤١) الدويري، منهج التربية الإسلامية في مواجهة الآثار السلبية للعولمة الثقافية، ص٧٣.
(١٤٢) السعدي، ص٦٢٣.
(١٤٣) الكيلاني، التربية والعولمة، ص١٣.
(١٤٤) المرجع السابق، ص٤٣-٤٤، وراغب، أقنعة العولمة السبعة، ص٣٦٤-٣٦٥.

المصادر والمراجع

ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

ابن عبد البر، يوسف القرطبي، مختصر جامع بيان العلم وفضله، دار الخير، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد، مفتاح دار السعادة، دار النفائس، عمان، ط١، ١٤٢٤هـ.

ابن ماجة، محمد بن يزيد، السنن (بأحكام الألباني)، دار الفكر، بيروت (د.ط).

أبو السعود، محمد بن محمد؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (د ط).

أبو داود، سليمان بن الأشعث، السنن (بأحكام الألباني)، دار الكتاب العربي، بيروت.
استيتيّة، دلال ملحس، أثر متغيرات الخبرة التعليمية والجنس والحالة الاجتماعية والمستوى التعليمي وقطاع العمل على مستوى الدافعية نحو التعليم المستمر لدى طلبة كلية العلوم التربوية في الجامعة الأردنية، مجلة دراسات العلوم الإنسانية، الجامعة الأردنية، المجلد (٢)، العدد ٣.
آل عبد الله، إبراهيم بن محمد، مستقبل التعليم والأمن في عصر العولمة، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، العدد ٣٨.
الأسمر، أحمد رجب، ١٩٩٧م، فلسفة التربية في الإسلام، دار الفرقان، عمان، ط١.
البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، دار الشعب، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ.
البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، دار طيبة، ط٤، ١٩٩٧م
الترمذي، محمد بن عيسى، السنن (بأحكام الألباني)، دار إحياء التراث، بيروت (د.ط).
التميمي، سخاء مأمون، ٢٠٠٦م، المنهج التربوي الإسلامي في تشكيل الهويّة الإسلامية، رسالة ماجستير، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، إربد.
الحياري، محمود سلامة، ٢٠٠٥م، مناهج التربية الإسلامية والعولمة، ندوة مناهج التعليم الديني في العالم الإسلامي، الجامعة الإسلامية، ماليزيا.
الخطيب، أحمد، ١٩٨٣م، التربية المستمرة: سياستها، برامجها أساليب تنفيذها، المجلة العربية للتربية، العدد٢.
الدعيج، حمد صالح، وعماد السلامة، ٢٠٠٧م، أثر العولمة في القيم من وجهة نظر طلبة الجامعة الأردنية وجامعة الكويت، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد ٣.
الدلال، سامي محمد، ١٤٢٥هـ، الإسلام والعولمة: المنازلة، مجلة البيان، لندن، ط١.
الدويري، فكري عايض، ٢٠٠٦م، منهج التربية الإسلامية في مواجهة الآثار السلبية للعولمة الثقافية، أطروحة دكتوراه، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، اربد.
الرشدان، عبد الفتاح، ٢٠٠٣م، دور التربية في مواجهة تحدّيات العولمة في الوطن العربي، مجلة شؤون عربية، القاهرة، العدد ١١٥.
الرواشدة، علاء زهير، ٢٠٠٧م، العولمة والمجتمع، دار الحامد، عمان.
الزحيلي، وهبة بن مصطفى، ١٤٢٢هـ، التفسير الوسيط، دار الفكر، دمشق، ط١.
السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، ١٤٢٢هـ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار السلام، الرياض، ط٢.
السيوطي، عبد الغني الدهلوي، شرح سنن ابن ماجة، مكتبة خانة، كراتشي.
الشاعر، عبد الرحمن بن إبراهيم، ١٩٩٧م، واقع التعليم المستمر في جامعة الملك سعود، مجلة التعاون، العدد ٤٥.
الشطناوي، عيد محمد، ٢٠٠٨م، تكافؤ الفرص في التربية الإسلامية، رسالة ماجستير، كلية الشريعة، جامعة اليرموك.
الشيباني، عمر، فلسفة التربية الإسلامية، الدار العربية للكتاب، (د.ط).
الطبراني، سلمان بن أحمد، المعجم الكبير (د.ط).
الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
العمايرة، محمد حسن، ١٤٢١هـ، الفكر التربوي الإسلامي، دار المسيرة، عمان، ط١.
العنزي، مبارك بن نزال، ٢٠٠٧م، العولمة الثقافية في ضوء العقيدة الإسلامية: عرض ونقد، رسالة ماجستير، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية.
الفتلاوي، سهيل حسين، ٢٠٠٩م، العولمة وآثارها في الوطن العربي، دار الثقافة، عمان، ط١.
الفريج، صالح بن عبد الله، ٢٠٠٥م، الهويّة الإسلامية: حقيقتها ودور التعليم في ترسيخها، ندوة مناهج التعليم الديني في العالم الإسلامي، الجامعة الإسلامية، ماليزيا.
القاري، ملا علي، شرح مسند أبي حنيفة، (د.ط).
الكيلاني، ماجد عرسان، ٢٠٠٨م، التربية والعولمة، مركز الناقد، دمشق.
الكيلاني، ماجد عرسان، ٢٠٠٨م، فلسفة التربية الإسلامية، دار القلم، الإمارات، ط١.
المالكي، عبد الرحمن بن عبد الله، ٢٠٠٥م، مهارات التربية الإسلامية، كتاب الأمة، قطر، العدد ١٠٦.
الماوردي، علي بن حمد، أدب الدنيا والدين، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط٣، ١٤٢٥هـ.
المباركفوري، عبيد الله بن محمد، مراعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الجامعة السلفية، الهند، ١٩٨٤م.
المباركفوري، محمد بن عبد الرحمن، تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، (د ط).
المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، ١٩٨٩م، التربية الإسلامية: المؤسسات والممارسات.
المراعية، عبد الله سلمان، ٢٠٠٦م، الفكري التربوي الإسلامي ودوره في تعزيز الأمن الاجتماعي، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة اليرموك، إربد.
المناوي، محمد بن علي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤.
النقيب، عبد الرحمن، وجمال الهنيدي، ٢٠٠٤م، قراءات في التربية الإسلامية، مكتبة الرشد، الرياض، ط١.
الهنيدي، جمال محمد، ١٩٩٩م، تربية علماء الطبيعيات والكونيات المسلمين.
إيدجار فور، وآخرون، تعلم لتكون، ترجمة: حنفي بني عيسى، الشركة الوطنية، الجزائر، ط٢، ١٩٧٦م.
بركات، محمد خليفة، ١٩٨١م، مفاهيم التعليم المستمر وأساليبه (نموذج من أروبا الغربية)، ندوة التعليم المستمر والتنمية، جامعة

الكويت.
بكار، عبد الكريم، ١٩٩٩م، مدخل إلى التنمية المتكاملة: رؤية إسلامية، دار القلم، دمشق.
توق، محي الدين، ١٩٨٥م، التربية المستمرة ودور الجامعات في تطويرها، رسالة الخليج العربي، العدد١٥.
جبر، يحيى عبد الرؤوف، ١٩٩٨م، التعليم المستمر: وجهة نظر جديدة، مجلة التعريب، العدد١٦.
جبريل، الجيلاني بشير، ١٩٩٨م، تعليم الكبار في ظل الحضارة الإسلامية، جامعة الفاتح.
حجازي، مصطفى، ١٩٩٩م، العولمة والتنشئة والمستقبلية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة البحرين، العدد٢.
حسان، حسن محمد، ومحمد مجاهد، ٢٠٠٧م، التربية وقضايا المجتمع المعاصر، دار الجامعة، الإسكندرية.
حميدي، عبد الرحمن سعد، ١٩٨٨م، حاجة التعليم العالي في البلدان العربية للأخذ بسياسة التعليم المستمر، مجلة اتحاد الجامعات العربية، العدد٢.
خضور، يوسف، ٢٠٠٤م، العولمة وانعكاساتها على القيم الاجتماعية في الوطن العربي، مجلة جامعة البعث، العدد١٠.
راغب، نبيل، ٢٠٠١م، أقنعة العولمة السبعة، دار غريب، القاهرة.
رحائم، سعاد، ٢٠٠٧م، الحضارة الإسلامية: جذور وامتدادات، كتاب الأمة، قطر، العدد ١٣١.
شيفر، أولريش، انهيار الرأسمالية، ترجمة: عدنان عباس، ٢٠١٠م، عالم المعرفة، الكويت، العدد ٣٧١.
صالح، سعد الدّين السيد، ٢٠٠١م، العالم الإسلامي وتحدّيات العولمة، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، العدد٢٠.
عبود، عبد الغني، ١٩٩٤م، في التربية الإسلامية (١)، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣.
عليمات، محمد مقبل، ١٩٩٣م، التعليم المستمر في الأردن: واقع وتطلعات، مجلة الباحث، العدد ٥٧.
عمارة، محمد، مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، نهضة مصر، (د.ط).
غزاوي، جلال الدين، ١٩٨٨م، أهمية التعليم المستمر في الحفاظ على مهنة العمل الاجتماعي، المجلة التربوية، جامعة الكويت، العدد ١٦.
فلية، فاروق عبده، وأحمد زكي، ٢٠٠٤م، معجم مصطلحات التربية، دار الوفاء، الإسكندرية.
محجوب، عباس، ٢٠٠٧م، التربية والتعليم في كتب التراث، عالم الكتب الحديث، إربد، ط١.
محمد، أحمد الحاج، ١٤٣٢هـ، العولمة والتربية: آفاق مستقبلية، كتاب الأمة، قطر، العدد١٤٥.
مدكور، علي أحمد، ٢٠٠٧م، تعليم الكبار والتعليم المستمر، دار المسيرة، عمان، ط١.
مسعود، عبد المجيد، ١٩٩٩م، القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر، كتاب الأمة، قطر، العدد ٦٧.
يوسف، يوسف خليل، ١٩٩١م، التعليم المستمر: مفهومه وأنماطه، صحيفة التربية، القاهرة، العدد ٢.

The Role of Continuous Teaching in Facing Social Globalization Challenges from Islamic Educational Perspective

*Adnan Mustafa Khatatbeh**

ABSTRACT

This study aimed at revealing the role of continuous teaching in facing social globalization challenges from Islamic educational perspective, through three domains. The first one, the concept of continuous teaching and the second is the concept of social globalization and Islamic education structures for continuous teaching principal is the third. The study also aimed at revealing the most important social globalization challenges and the role of continous teaching in facing them from islamic educational perspective. The study revealed the ability of continuous teaching on facing the challenges of social globalization, because it enjoyed opened and flexible features, natures, and techniques. In addition, continuous teaching has an active role in Islamic civilization growth also, it forms an active strength in society and facing it's challenges and growth when it was linked with it's age issues and when it framed with Islamic educational perspective.

The study insured that continuous teaching has a primary role facing social globalization challenges especially those related to social values and individual behavior, tendencies and interests. Such as those challenges that affect the value of layality, identity, and social constancy, and spiritual and affect tendencies. The study recommended Arabic and Islamic countries and societies with all establishments to make continuous teaching derived from holly Qura`n and sunna a strong and stable methodology to look after the security of reasoning and natural society and to keep it's behavior and values and push it toward growth and development.

Keywords: Continuous Teaching, Social Globalization, Islamic Education.

* Department of Islamic Studies, Faculty of Shari'a, Yarmouk University, Irbid, Jordan. Received on 9/1/2012 and Accepted for Publication on 2/4/2013.